

مكتبة فنية

ماتغور



ترجمة

شليقة محمد التليسي

Bibliotheca Alexandrina
0111763

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر

دار العربية للكتاب
ليبيا - تونس

Handwritten text in Arabic script, possibly a signature or a list of items, including the word "طبخ" (Cooking).

فَكَذَّبَتْهُ طَاغُوتًا

فكرات في طائر



ترجمة
خليفة محمد التليسي

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	831.414
رقم التسجيل	٥٠٤٢ ٤٤٠٢٩

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر



الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية

89/673

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جميع الحقوق محفوظة دار العربية للكتاب

1989



تواريخ هامة في حياة طاغور

1861 في يوم 6 مايو من هذا العام ولد الشاعر بمدينة كلكتا في أسرة معروفة بالعراقية والوجاهة والمكانة العلمية الأدبية . فقد كانت لوالده مكانة دينية واجتماعية بارزة في إقليم البنغال ، كما تميز إخوته وأخواته بالنبوغ الأدبي والفني والموسيقي ، مما هيا له الفرصة لأن يترعرع في بيئة غنية بالثقافة متفتحة على مختلف التيارات والاتجاهات الأدبية والفلسفية الهندية والشرقية والغربية .

1875 وفاة والدته . وكان حينذاك في الخامسة عشرة من عمره . نشر بواكيره الشعرية الأولى في إحدى المجلات الأدبية التي كانت تصدر بكلكتا .

وحين قارب العشرين من عمره نشر أولى مجاميعه الشعرية بعنوان (أغاني الصباح) ثم أتبعها (بأغاني المساء) فكان بذلك ي دشّن عهدا جديدا في مسار الشعر البنغالي الحديث .

1877 أرسله والده إلى إنجلترا لدراسة القانون . فلم يوفق إلى التخرج فيما أراد له والده من اختصاص ولم يلبث أن عاد إلى بلاده دون شهادة . ولكنه عاد بحصيلة وافرة من المعلومات والتجارب التي غذت اهتماماته في مجالات الأدب

• انظر المقدمة في الجزء الأول من المجموعة .

والموسيقى . وبعد إقامة استمرت أربعة عشر شهرا عاد إلى بلاده مواصلا نظم الشعر وكتابة الدراسات الأدبية .

1883 وفي 9 ديسمبر من هذا العام تزوج مربنا ليني دبي .

1890 قام برحلة ثانية إلى أوروبا زار فيها إنجلترا مارا بفرنسا وإيطاليا . وذكر الرحلات هنا أمر هام في حياة طاغور ، وما حققه من شهرة عالمية ، وقد اتخذ من هذه الرحلات جسرا يصله بكبار الأدباء في العالم والتعريف بأدبه ورسالته في أرجاء المعمورة .

1891 عين نائبا لرئيس أكاديمية الآداب في البنغال ومن ذلك الحين انصرف انصرافا كاملا إلى النشاط الأدبي وكرس جهوده لخدمة الحركة الأدبية والعلمية في بلاده التي أخذ يعني بشئونها السياسية .

1901 أسس بشأني نيكتان مدرسة صارت فيما بعد الجامعة الدولية فسفابهاراتي .

1902 وفاة زوجته .

1904 وفاة ابنته .

1905 وفاة والده .

1907 وفاة ابنه الأكبر .

وقد كان لهذه الأحداث المحزنة أثر عميق في نفسه ، وشعره ينعكس بشكل حاد في كثير من قصائده . وفي وفاة ابنته كتب ديوانه الطفل الذي ترجمه إلى الإنجليزية بعنوان الهلال .

1909/1912 كتب خلال هذه الفترة ديوانه جنتجالي (قربان الأغاني) ونشره باللغة البنغالية 1910 وهو العمل الذي صنع له شهرته العالمية ونال به جائزة نوبل للآداب فكان أول شاعر شرقي يظفر بها .

1912 قام بزيارته الأولى للولايات المتحدة التي فيها جملة من المحاضرات تحول إلى إنجلترا في زيارة ثانية حيث التقى بالشاعر عزرا باوند ووليام بتلر يتس وهما الشاعران اللذان نهضا بعاء تعريف الغربيين به وكان طاغور قد قام اثناء الرحلة بترجمة

بعض أشعاره إلى الإنجليزية وحين اطلع عليها الشاعر الإنجليزي يتس تحمس لها .

1912 في نوفمبر من هذا العام نشر ديوان جتنجالي بالإنجليزية بتقديم الشاعر الايرلندي يتس .

1914 منح طاغور جائزة نوبل على هذا الديوان وقد خصص ربع الجائزة لتطوير جامعته المعروفة ومنحته جامعة كلكتا لقب الدكتوراه الفخرية .

1915 منحه الحكومة البريطانية لقب (سير) وهو اللقب الذي أعاده إلى الحكومة البريطانية عقب الأعمال القمعية التي قامت بها في سنة 1919 بإقليم البنجاب .

1916 زار اليابان .

1917 زار الولايات المتحدة مرة ثانية وألقى سلسلة من المحاضرات . كما انتخب في هذه السنة رئيسا للمؤتمر الوطني بكلكتا .

وعني في هذه الفترة بالعمل على تطوير جامعته وتوسيعها، فلم يكتف برصد ربع جائزة نوبل والحقوق العائدة فقام بجولة جديدة حول العالم استغرقت أربعة عشر شهرا لجمع التبرعات لهذه الجامعة .

1921 تمكن طاغور بعد جهد كبير من افتتاح جامعته العالمية فيسفاهاراتي وهي تسمية استوحاها طاغور من أحد الأبيات الشعرية السانسسكريتية وتعني المكان الذي يتحد فيه العالم في وكر واحد .

1922 زار فرنسا وانجلترا والدانمرك والسويد وألمانيا .

1924 زار ماليزيا والصين واليابان .

1925 حل ضيفا على الحكومة الفاشية الإيطالية وحسبت عليه تصريحاته السياسية التي تتسم بالسذاجة وطيبة النفس أكثر مما تعبر عن الموقف السياسي المناصر .

كما عين في هذه السنة رئيسا للمؤتمر الفلسني بالهند .

1926 قام خلال هذه الفترات بعدة رحلات حول العالم زار خلالها سويسرا ، النمسا ،
وفرنسا حيث كان ضيف الكاتب الفرنسي الشهير رومان وولاند ، ثم زار
أيضا إنجلترا والنرويج ، ويوغسلافيا ، بلغاريا ورومانيا ، وتركيا ، واليونان
ومصر حيث كان موضع حفاوة من الأوساط السياسية والأدبية واحتفى به
الشاعر أحمد شوقي في بيته كرمة بن هاني ، وزار أيضا ماليزيا والصين
واليابان وكندا والهند الصينية والدنمرك وروسيا والولايات المتحدة .

وكان خلال هذه الرحلات يقوم بالتبشير بمبادئه ويقراً شعره ، ويجمع التبرعات
لجامعته ، ويقوم بالعلاقات مع أبرز الشخصيات الأدبية والفكرية والسياسية في
عصره . وعرض في أوروبا وأمريكا بعض لوحاته مقدما بذلك وجهها آخر من وجوه
مواهبه المتعددة .

1928 بدأ في ممارسة هواية الرسم .

1929 رحلات إلى كندا واليابان وسايجون .

1930 عودة إلى إنجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا وروسيا .

عرض رسومه في برمنجهام ولندن وبعض العواصم الأوروبية .

1932 رحل إلى العراق وإيران بطريق الجو . وفاة حفيده الوحيد .

1933 وكان في هذه المرحلة قد جاوز السبعين من العمر فاستراح إلى الإقامة في بلاده
وكف عن التجوال سوى رحلة قصيرة قام بها إلى سيلان .

1940 آخر لقاءات طاغور مع غاندي في سانتي نكتان . جامعة أكسفورد تعقد اجتماعا
في سانتينيكتان لمنحه درجة الدكتوراه الفخرية . وهو شرف لم يحظ به غيره
من قبل ، فالمعروف أن الجامعات تمنح هذا التكريم في مقارها التاريخية .

1941 في يوم 17 اغسطس من هذا العام توفي الشاعر العظيم في الثمانين من عمره في
البيت الذي ولد فيه فبكاه العالم وفقد فيه شاعرا من شعراء الإنسانية الكبار .

1948 اغتيال غاندي .

1949 إعلان استقلال الهند .

من قصائد الأمل والتَّحْدِي

من شعر الأمل والتحدي

البُخُورُ يذُوبُ لِيَتَحَلَّلَ فِي العِطْرِ
والعِطْرُ يذُوبُ لِكِي يَلْتَحِمَ بالبُخُورِ
والنَّغْمُ يَسْعَى لِمُعَانَقَةِ الإيقاعِ
بَيْنَمَا يَعُودُ الإيقاعُ مُتَدَفِّقًا فِي النَّغْمِ
والفِكرَةُ تَبْحَثُ عَن هَيَاتِهَا فِي الصُّورَةِ
والصُّورَةُ تَبْحَثُ عَن حُرِّيَّتِهَا فِي الفِكرَةِ
واللَّانِهَائِي يَبْحَثُ عَن لَمَسَةِ النَّهَائِي
والنَّهَائِي يَبْحَثُ عَن انْعِتَاقِهِ فِي اللَّانِهَائِي
أَيَّ مَأْسَاةٍ هَذِهِ تَجْرِي بَيْنَ الخَلْقِ والتَّدْمِيرِ
وهَذِهِ الحَالَةُ بَيْنَ الفِكرَةِ والصُّورَةِ
العُبُودِيَّةُ تُصَارِعُ الحُرِّيَّةَ
والحُرِّيَّةُ تَبْحَثُ عَن رَاحَتِهَا فِي العُبُودِيَّةِ

قاهر الموت

عِنْدَمَا كُنْتُ بَعِيداً عَنْكَ
كُنْتُ أَفْكَرُ أَنَّكَ قَاهِرٌ لَا يُغْلَبُ
وَقَاسٍ لَا يَرْحَمُ
وَأَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ يَرْتَجِفُ تَحْتَ قَدَمَيْكَ .
لَقَدْ كُنْتَ قَاسِيًا حَقًّا
وَكَانَ لَهَيْبِكَ النَّهْمُ
يَخْتَرِقُ قَلْبَ الْمَحْرُومِ
وَحَرَبَتُكَ تُنْزِلُ الرَّعْدَ
وَلَكِنِّي اقْتَرَبْتُ مِنْكَ بِقَلْبٍ مُرْتَجِفٍ
وَكَانَ جَيْبُكَ الْمُقَطَّبُ يُنْذِرُ بِالذَّمَارِ الْقَرِيبِ
وَهَبَّتْ عَاصِفَةٌ

فَاهْتَزَّ لَهَا وَجُودِي كُلَّهُ
وَسَأَلْتُ
أَلَمْ تَعُدْ تَبْلُغُنَا آخِرَ رُغُودِكَ؟
وَقَصَفَ الرَّعْدُ
أَهَذَا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ؟ أَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ آخَرَ؟
وَعِنْدَمَا رُفِعَ سَيْفُكَ
ذَهَبَ خَوْفِي
لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَكْبَرُ مِنِّي
وَنَزَلْتَ مِن عَلَيَّا نِكَ إِلَى الْأَرْضِ
حَيْثُ أُقِيمُ
لَقَدْ صِرْتَ الْيَوْمَ فِي نَظْرِي مَخْلُوفًا صَغِيرًا
وَخَوْفِي مِنْكَ قَدْ تَبَدَّدَ
وَمَهْمَا كُنْتُ كَبِيرًا
فَلَنْ تَكُونَ أَكْبَرَ مِنَ الْمَوْتِ
وَلَكِنِّي أَنَا؟

أنا أكبر مِنَ المَوْتِ
وسأَعْلِنُ ذَلِكَ عِنْدَمَا أُغَادِرُ هَذِهِ الأَرْضَ

* * *

سؤال

يَا إِلَهِي

لَقَدْ أَرْسَلْتَ رَسُولَكَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ الْكَرِيمِ

عَصْرًا بَعْدَ عَصْرٍ

وَقَدْ هَتَفُوا فِي النَّاسِ :

اطْرَحُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلِّ رَغْبَةٍ فِي الشَّرِّ

وَاعْفِرُوا وَأَحْيُوا

إِنَّهُمْ سَادَاتُنَا

وَفِي تَقْدِيرِنَا لَهُمْ

نَحْفَظُ ذِكْرَهُمْ

وَلَكِنِّي فِي هَذَا الْيَوْمِ

سَرَّحْتُهُمْ جَمِيعًا

بِتَحِيَّةٍ فَارِغَةٍ جَوْفَاءَ

لَقَدْ رَأَيْتَ الشَّرَّ
يَقْتُلُ بِخُبْثِ الْإِنْسَانِ الْأَعْزَلِ
وَالسُّلْطَةَ الْوَقِيحَةَ تَحْنُقُ صَوْتَ الْعَدْلِ
الَّذِي كَانَ يَبْكِي فِي عُرْبَةٍ
وَرَأَيْتُ الشَّبَابَ الْغَضَّ يَحْتَجُّ فِي لَوْعَةٍ جَامِحَةٍ
وَيَضْرِبُ رَأْسَهُ ضِدَّ الصَّخْرِ الْجَامِدِ
الْيَوْمَ
تَعْطَلُ صَوْتِي
وَصَمَّتْ نَائِي
وَاخْتَفَى عَالَمِي فِي حُلْمٍ شَرِيرٍ
وَمَعَ ذَلِكَ فَاِنِّي أَسْأَلُكَ مُتَضَرِّعًا بَاكِيًا
هُؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّمُوا جَوْكَ
وَأَطْفَأُوا نُورَكَ
هَلْ غَفَرْتَ لَهُمْ وَعَفَوْتَ عَنْهُمْ؟
وَهَلْ شَمَلَهُمْ حُبُّكَ؟

النداء

لَقَدْ سَأَلْتُ وَأَعَدْتُ السُّؤَالَ
أَيْنَ سَتَتَّظِرُنِي عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ
وَأَيْنَ سَتَسْبِطُ لِي حَصِيرَكَ
فِي زَاوِيَةٍ مُنْعَزِلَةٍ؟
مَا كَدْتُ أَسْمَعُ نِدَاءَكَ يَتَرَدَّدُ فِي الْفَضَاءِ
حَتَّى أُسْرِعْتُ إِلَى الْمَرْجِ
الْمُبَلَّلِ بِالنَّدَى
وَالخَافِقِ بِالْأَضْوَاءِ
وَبَحَثْتُ عَنْكَ فِي هَمْسِ مُوسِيقَى النَّهْرِ الصَّائِحِبِ
وَسَمِعْتُ دَوْمًا نَائِكَ يَعْرِفُ أَنْغَامَهُ
حَيْثُ السُّحْبُ تَخْلُقُ بِأَلْوَانِهَا الْمُخْتَلِفَةَ عَالَمِ (مَآيَا)
وَحَيْثُ الظُّلَالُ تَتَلَاعَبُ فَوْقَ الْمَاءِ

وَطَائِرُ الْقُمْرِي يَقْفِزُ عَلَى أَغْصَانِ الشَّجَرِ
وَتَوَاصَلَ نِدَاءُ نَفِيرِكَ كَمَا لَوْ كَانَ يَبْحَثُ عَنِّي
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ عَقْلِي لَمْ يَنْهَضْ مِنْ فُتُورِهِ
وَلَمْ أَهْرَعْ حَتَّى إِلَى الْخَارِجِ لِمُلَاقَاتِكَ
بَلْ وَقَفْتُ مَتَمَهلاً مُتَبَاطِئاً عِنْدَ الْبَابِ
لَقَدْ سَمِعْتُ نِدَاءَكَ هُنَاكَ

حَيْثُ يُحْتَقَرُ الْإِنْسَانُ
وَحَيْثُ النُّورُ يَمُوتُ فِي قَلْبِ الْمَكْرُوبِ
وَحَيْثُ السَّجِينُ يَبْكِي فِي زِنزَانَتِهِ
وَحَيْثُ الْأَسَاسُ الصَّخْرِي يَهْتَزُّ
وَحَيْثُ النَّارُ الدَّاخِلِيَّةُ تُرْجِفُ الْأَرْضَ
وَحَيْثُ سَلَاسِلُ الْعُصُورِ تَرْتَمِي مَكْسُورَةً

* * *

الدين الزائف

أولئك الذين يُعَانِقُونَ الوَهْمَ بِاسْمِ الدِّينِ
يَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ .

حَتَّى الْمُلْحِدُ يَحْصِلُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ
فَلَا تَفْخَرُ بِدِينِكَ

إِنَّهُ يُوقِدُ فِي خُشُوعٍ مِصْبَاحَ الْعَقْلِ
وَيُقَدِّمُ تَمْجِيدَهُ لَا إِلَى الْكُتُبِ

وَلَكِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ فِي الْإِنْسَانِ
إِنْ الطَّائِفِي يَلْعَنُ دِينَهُ

حِينَ يَقْتُلُ إِنْسَانًا مِنْ غَيْرِ دِينِهِ

وَهُوَ لَا يَقُومُ السُّلُوكَ عَلَى ضَوْءِ الْعَقْلِ
وَيَرْفَعُ فِي الْمَعْبَدِ

الْعِلْمَ الْمُلَطَّخَ بِالدِّمَاءِ

وَيَعْبُدُ الشَّيْطَانَ فِي صُورَةِ الْإِلَهِ
كُلُّ هَذَا الَّذِي تَمَّ عَبْرَ الْأَحْقَابِ وَالْعُصُورِ
مَخْجَلٌ وَوَحْشِيٌّ

قَدْ وَجَدَ مَلَاذَهُ فِي مَعَابِدِكُمْ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى سُجُونِ
لَقَدْ سَمِعْتُ أَصْوَاتَ أَبْوَابِ التَّدْمِيرِ
تَبْلُغُ الزَّمَانَ بِمِكَنَسَتِهَا الْجَارِفَةَ
لِتَكْنِسَ كُلَّ الْمُهْمَلَاتِ .
كُلُّ مَا يُحَرِّرُ الْإِنْسَانَ
يُحَوِّلُونَهُ إِلَى قُبُودِ .
وَكُلُّ مَا يُوَحِّدُهُ
يُحَوِّلُونَهُ إِلَى سَيُوفِ .
وَكُلُّ مَا يَحْمِلُ الْحُبَّ
مِنَ النَّبَعِ الْخَالِدِ
يُحَوِّلُونَهُ إِلَى سُجُونِ .
يُحَاوِلُونَ اجْتِيَازَ النَّهْرِ

فِي سَفِينَةٍ مَثْقُوبَةٍ .

يَا إِلَهِي

دَمَّرَ الدِّينَ الزَّائِفَ

وَأَنْقَذَ الْأَعْمَى

وَلتَهَشَّمْ ، وَلتَهَشَّمْ

المَعْبَدَ الْمُطَّخَّ بِالدِّمَاءِ

وَدَعِ هَزِيمَ الرَّعْدِ يَنْقُذُ إِلَى سِجْنِ الدِّينِ الزَّائِفِ

وَاحْمِلِ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ التَّعْسَةَ

نُورَ الْمَعْرِفَةِ

* * *

الرحال

أيها العابر

أنت وحدك

كيف يمكنك أن تبصر المجهول الكامن في أعماقك؟

لقد تابعت أثناء الليل

السير في الدرب الذي لم تطرقه من قبل

ورأيت المرشد في السماء

وكنت تسير وحدك

وتسلقت وحدك القمة العالية التي تسافر منها

نجمة الصباح في رحلة مع النور

إن الشلال الذي يتولد من دفء أبريل

يحمل رؤية مستقبله البعيد

وجماله يفوق الوصف

« أنا موجود، أنا موجود »

هذه الترديدة تُزهر

وسماعٌ ندائها

يَجْعَلُ الميَاهَ تَجْرِي نَحْوَ المَجْهُولِ

وبمثل ذلك، تهمسُ الرِسَالَةُ الصَامِتَةَ

وَيَتَرَدَّدُ صِدَاها فِي أَعْمَاقِكَ

وَفِي كُلِّ تَنْهِيدَةٍ يَتَرَدَّدُ الجَوَابُ الكَبِيرُ

« أنا موجود، أنا موجود »

والصخُور الكَبيرة

تُعْرِقُ الطَّرِيقَ

وَتُرَدِّدُ التَّحذِيرَ

كلا . . كلا . . كلا

والأمواجُ تَهْدُرُ ضِدَّ المادَةِ الجَامِدَةِ

والشكَّ يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ

وَيَرْتَجِفُ الجَبَانُ

وَالْعَقْلُ الْكَسُولُ يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ
وَفِي بَحْثِهِ عَنِ الْخَلَاصِ
يَنْتَهِي إِلَى الْمَوْتِ .
فِي الدَّرْبِ الضَّيِّقِ لِلْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ
أَنْتَ الرَّحَالُ الَّذِي يَتَجَاهَلُ كُلَّ حَدِّ
فَيَسْتَوْلِي عَلَى الْمَنِيْعِ
وَفِي كُلِّ خُطْوَةٍ يَتَرَدَّدُ الْجَوَابُ
« أَنَا مَوْجُودٌ ، أَنَا مَوْجُودٌ »

الدائم التحرك

بِصْرَخَةٍ يَأْتِسَةُ :

لَا تَرَحَّلُ

مَنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْوَرَاءِ؟

أَيْنَ هُوَ ذَلِكَ الرَّبَاطُ

الَّذِي يَجْعَلُ اللَّامَحْدُودَ مَحْدُودًا؟

إِنَّ الْكُونَ مِثْلُ سَيْلٍ دَافِقٍ

يَجْرِي جَارِفًا كُلَّ شَيْءٍ

فِي الْإِبْتِسَامِ وَالْدُمُوعِ

كَلًّا : كَلًّا : كَلًّا .

هَذِهِ الصَّرْخَةُ قَدْ سُمِعَتْ فِيمَا أْبَعَدَ

مِنْ بَحْرِ الزَّمَنِ الْعَظِيمِ

وَيَتَرَدَّدُ صِدَاهَا فِي طَبَلِ (رودرا) الرَّهِيْبِ

أَيُّهَا الْفِكْرُ
دَعْ خَلْفَكَ كُلَّ شَهْوَةٍ، كُلَّ خَوْفٍ، وَكُلَّ عَنَاءٍ
إِنْ نَهَرَ الْخَلْقَ
لَيْسَ سِوَى السَّيْلِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ مِنَ التَّدْمِيرِ
وَكَأَنَّ شَيْءٌ يَمْضِي
وَالآنَ . . . أَنَا أُحِبُّ
بَيْنَمَا

تَتَأَلَّقُ ابْتِسَامَةَ الْوُجُودِ فِي سَيْلِهَا الْبَهِيحِ .
وَسَطَ التَّدْمِيرِ

وَمَنْ (فِينَا) الْمَوْتُ
يَنْسَكِبُ نَشِيدُ الْحَيَاةِ
وَمِنْ وَقْتٍ إِلَى آخِرٍ
وَفِي أَعْمَاقِ قَلْبِهَا
يَرْتَجِفُ بِلُطْفِ
مِصْبَاحِ الْأَبَدِيَّةِ

مُضِيئاً سَرَابَ لَحْظَةٍ .
إِن نَهَرَ الدَّمُوعَ المَجْهُولِ
يَحْمِلُ فِي تِيَّارِهِ الجَارِفِ
حُبَّ الأُمِّ
وَرِسَالَةَ العَاشِقِ .
وَفِي مِيدَانِ مَعْرَكَةِ الدَّمَارِ
فَإِنَّ شَجَاعَةَ البَطْلِ كَنْزُ جَمَالٍ لِلأَرْضِ .
وَمَدَى الزَّمَنِ لَا يَقِيسُ قِيمَةَ العَطِيَّةِ
التي يُسْكِبُهَا اللَانِهَائِي
فِي الأَيْدِي المَمْدُودَةِ فِي هَيَاةِ كَأْسِ .
العَابِرِ الفَانِي
طَالَمَا ظَلَّ مُسْتَمِرًّا
فَقَوْمَهُ بِحَيَاتِكَ كُلِّهَا
وَحِينَ تَبْتَعِدُ عَرَبَةُ الوَدَاعِ عَنِ المَاضِي
نَاسِيَةً نَفْسَهَا وَمُغْنِيَةً أَنَاشِيدَ النُّصْرِ

أَفْسَحِ الطَّرِيقَ
لَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيْكَ الْأَسَى
حِينَ كُنْتَ فِي الْأَرْضِ الصَّغِيرَةِ
وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ
فِيمَا وَرَاءَ الْحَيَاةِ
إِنَّهُ يَعِيشُ فِي قَلْبِ الْوُجُودِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي صِيغَةِ أَكِيدَةٍ فَبِشَكْلِ آخَرَ
فَاخْرُجْ مِنْ بَثْرِكَ الْعَمِيقَةِ
تَحْتَ الْقُبَّةِ السَّمَاوِيَّةِ
وَانظُرْ شَكْلًا سَعِيدًا مِنْ أَشْكَالِ التَّدْمِيرِ
أَيُّهَا الْمُتَأَلِّمُ
إِنْ فَقَّاعَةَ لَوْعَتِكَ
تَتَلَاشَى
فِي مُحِيطِ اللَّامُؤَلِّمِ

* * *

الطريق المفتوحة

لِتَبْعُدْ

وَلتُفْسِحِ الطَّرِيقَ

إِنَّ عَقْلَكَ يَنْوُءُ تَحْتَ وَطْأَةِ الشَّكِّ

وَمَجْرَى الْحَيَاةِ يَسِيلُ بِبُطْءِ

عَلَى أَنْغَامِ مُوسِيقَى الْمِيَاهِ الرَّقْرَاقَةِ

وَشَطْحَاتِ الْبَهْجَةِ الْمُنْتَشِيَةِ .

إِنَّ أَمْوَاجَهُ وَحَدَّهَا هِيَ الَّتِي تُخَفِّفُ ثِقْلَ الْمَاضِي

وَبِاخْتِنَاقِهَا الْمُقْلِقِ

تُعَدِّلُ طُرُقَ الْحَيَاةِ الْمُلتَوِيَّةِ .

وَدَوِّيْهَا يَحِلُّ عُقْدَ شَبَكَةِ الْحَيَاةِ

وَيُطَهِّرُهَا مِنْ كُلِّ عَدْوَى .

وَتَطْوِي سَأْمَ الْأَيَّامِ

إِنَّهَا كَالسُّحْبِ الَّتِي تَشْرَبُ فِي ضَوْءِ الصَّبَاحِ
وَهِيَ مِثْلُ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ الَّتِي لَا تُحْصَى
وَمِثْلُ زَفْرَةِ الرِّيحِ الَّتِي تَهْبُ بِلَا هَدَفٍ
وَمِثْلُ حَفِيفِ الشَّجَرِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ
وَالَّذِي يُبْهِجُ قَلْبَ الْأَرْضِ
إِنَّهَا مِثْلُ الشُّعَاعِ الْأَوَّلِ لِلضِّيَاءِ
يَنْبَعُثُ عَلَى حَافَةِ اللَّيْلَةِ السَّالِفَةِ
إِنَّهُمْ أَطْفَالٌ يَمْرَحُونَ عِنْدَ الشَّاطِئِ
وَعَذَارَى تَشِعُّ بِشَبَابِهَا الْفِيَاضَ
وَقِيُودَهُمْ تُرَدُّ صَدَى أُغْنِيَةِ الْحُرِّيَّةِ
لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ خَوْفٌ
وَلَا قَلَقٌ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ
وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ هُمْ الْفَائِزُونَ
وَعِنْدَ نِدَاءِ الْمَجْهُولِ
يُظْهِرُونَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَحَدْبٍ

فِي الظَّلَامِ ، وَفِي النُّورِ
وَيَنْدَفِعُونَ لِمُوجَهَةِ الْوَقَائِعِ
عِنْدَ حُلُولِهَا
لِتَذْهَبَ بَعِيداً
أَيُّهَا الْجَبَانُ الَّذِي يَنْوَأُ بِثِقَلِ الشَّكِّ

* * *

الشرق

اسْتَيْقِظْ ، أَيُّهَا الشَّرْقُ العَرِيقُ
إن ليلَ العصورِ المظلمِ
قد دَثَرَكَ بِظُلُمَاتِهِ الكَثِيفَةَ
وَبَيْنَ يَقْظَتِكَ وَمَنَامِكَ
بَدَدَكَ فِي بَحْرِ النِّسيَانِ
اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا الشَّرْقُ العَرِيقُ
إن أنعامَ الحياةِ المتنوعةِ قد خَفَّتْ
كَمَا تَخَفَّتْ أنعامُ الحُبَابِجِ المَحْتَضِرَةِ
فَتَى يَرْقُصُ فِي نَبْضِكَ من جَدِيدِ
نِدَاءِ النُّورِ؟
اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا الشَّرْقُ العَرِيقُ
من الذي يَتَلَقَّى رِسَالَتَهُ؟
إني هُنَا في انْتِظَارِ اللَّحْظَةِ

التي تحوّل فيها صخرة المقارنة بالفجر الجديد
هذه الأرض، إلى ذهب
استيقظ أيها الشرق العريق
إني أتوسل بيدين مضمومتين.
في تحطيمك لجذوع العهد القديم
يمكن للشكل الجديد أن يتفتح من جديد
في المجد الزاهي للشمس التي تبرغ
استيقظ أيها الشرق العريق
إن العهد الجديد يعلن عن نفسه في هذا الهتاف:
افتح، افتح الباب، وبدد الظلمة
فالنور المتولد عن الألم والعناء
سيأتق أمامك
استيقظ أيها الشرق العريق

الإنسان الطائر

إِنَّ الآلَةَ العُظْمَى جعلت الإنسانَ طَائِرًا
وَأذَعَتِ اليَابِسَةَ وَالْمَاءَ لِحِكْمِهِ وَرَكَعَتْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ
وَالجَوُّ وَحْدَهُ ظِلٌّ حَرًّا
إِنَّ الأَجْنِحَةَ هِيَ هِبَةُ اللّهِ للطُّيُورِ
وَفَرَحَتُهَا تَتَفَتَّحُ وَتَتَجَلَّى فِي خُطُوطِ وَأَلْوَانِ
تلكَ الرِّحَالِ المُتَعَدِّدَاتِ الأَلْوَانِ
رَفِيقَاتِ الغَيْمَةِ
تَسْتَمِي إلى نَفْسٍ مَهَبِّ الرِّيحِ فِي السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ
وَلَعِبُهَا يَتَّفِقُ مَعَ إِيقَاعِ الرِّيحِ
وَأَنَاشِيدُهَا مَعَ أَلْحَانِ السَّمَاءِ
وَهَكَذَا فِي كُلِّ صَبَاحٍ

تَمْتَرِجُ يَقْظَتُهَا مَعَ يَقْظَةِ الْحَيَاةِ فِي الْغَابَاتِ
 وَمِثْلِ الْأَمْوَاجِ الْمَأْخُوذَةِ بِإِيقَاعِ رَقِصَتِهَا الْمُجْنَحَةِ
 تَلْهُو تِلْكَ الطُّيُورُ فِي ظِلِّ الْأَمْنِ الَّذِي يَسْرِي فِي السَّمَاوَاتِ .
 لَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ عَصْرِ إِلَى عَصْرِ رِسَالَةَ الْحَيَاةِ
 لِلسَّمَاءِ ، وَلِلْغَابَةِ ، وَلِلْجِبَالِ
 وَلَكِنْ مَا الَّذِي يَحْدُثُ الْيَوْمَ ؟
 مِنَ الَّذِي يَفْهَمُ مَعْنَاهُ ؟
 إِنْ رَايَةَ التَّطَاوُلِ ، بِكِبْرِيَاءِ السُّلْطَةِ
 قَدْ نَشَرْتَ أَجْنِحَتَهَا
 وَلَمْ يُبَارِكْهَا إِلَهَ الْحَيَاةِ
 وَلَمْ تَحْتَضِنُهَا الْغَابَةُ
 وَلَمْ يَحْتَرْمَهَا الْقَمَرُ
 إِنَّهَا بِهِزًّا أَجْنِحَتَهَا
 وَبِزَمْجَرَةٍ صَوْتِهَا الْمُدْوِي
 تُعْلِنُ عَنْ عُرْبَتِهَا فِي السَّمَاءِ

اليوم . وفي التاريخ الذي سَمَّه الإنسان
تَدْعُو الغُيُومَ
وَبِضْحَكَةٍ ثَقِيلَةٍ
تُمْطِرُ الخَرَابَ مِنَ السَّمَاوَاتِ
إِنِّي أَشْعُرُ أَنَّهُ قَدْ حَانَتْ نِهَآيَةٌ عَصْرُ
إِن الْفَوْضَى مِثْلَ الْأَسَدِ الْغَضُوبِ
لَا يَتَحَمَّلُ الْمَعْرُوقَاتِ
وَالْغَيْرَةَ وَالْقَسْوَةَ تُوقِدَانِ لَهَيْبَ الْمَوْتِ
تَرْفَعُ الرَّعْبَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ
إِذَا كَانَ هَذَا الْمَكَانَ يَعْنِي عَرْشَ اللَّهِ
فَإِنَّهُ قَدْ دُنُسَ
وَحَيْثُئِذٍ يَا (فاجارياني) إِلَهَ الرِّعْدِ
فِي لَهَبِ التَّدْمِيرِ الْغَاضِبِ
دَعِ صَوْتَ الرَّعْبِ
يَضَعُ حَدًّا لِتَارِيخِ الْإِنْسَانِ

آه، أصغ إلى الدَّعَوَاتِ الْمُوجِعَةِ
التي تَرْفَعُهَا الْأَرْضُ
وَدَعِ تَغْرِيدَ الطُّيُورِ
فِي الدُّرُوبِ الْخَضِرَاءِ، الزَّرْقَاءِ فِي الْغَابَةِ
يَقُصُّ مَرَّةً أُخْرَى
رِسَالَتَكَ

* * *

أيتها الأرض

أيتها الأرض

لتقبلي اليوم تحييتي

آخر تحية

ترفعُ إليك في هيكلِ اليومِ الذي يزول

أنتِ بطلةٌ، يتحققُ فرحُك في الأبطال

أنتِ جميلةٌ وقاسيةٌ

امرأةٌ ورجلٌ في وقتٍ واحدٍ

تزرعين حياةَ الإنسانِ بصراعاتٍ لا تُطاق .

باليَدِ اليمنى تملأين الكأسَ بالرحيقِ

وباليسرى تُبدينه بدداً .

وفي مكانٍ لهوكٍ يترددُ صدَى السخريةِ الصاخبةِ

إن حياةَ البطلِ ، ورثَ الحياةَ النبيلةَ

تُرهِقِينَهَا وَتَجْعَلِينَهَا قَاسِيَةً
إِنَّكَ تَجْعَلِينَ مِنَ الْعَسِيرِ بُلُوغَ الْخَيْرِ
وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ رَحْمَةٌ لِلْبَائِسِ
إِنِ الصِّرَاعَ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ الَّذِي أَخْفَيْتَهُ
فِي أَشْجَارِكَ
يُظْهِرُ انْتِصَارَهُ فِي الثَّمَارِ وَالغِلَالِ .
وَمِيدَانَ مَعْرَكَتِكَ الْكَرِيهَةِ
يَنْبَسِطُ عَلَى الْمَاءِ وَالْيَابِسِ
هُنَاكَ، فِي مُوَاجَهَةِ الْمَوْتِ
تُعَلِّنُ الرُّسَالَهَ الْفَائِزَةَ لِلْغَالِبِ
وَأَبْرَاجُ انْتِصَارَاتِ الْمَدِينَةِ
تَقُومُ عَلَى الدَّعَائِمِ الْمُوَسَّسَةِ عَلَى الْقَسْوَةِ
وَأَقْلُ الذُّنُوبِ تُكَافَأُ بِالْذَّمَّارِ .
فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى مِنَ التَّارِيخِ
كَانَتْ سُلْطَةُ الْعِمْلَاقِ غَيْرَ مَحْدُودَةٍ

كَأَنسَانَ، وَبَرَبْرِيٍّ، وَأَبْلَهُ
وَكَانَتْ أَصَابِعُهُ خَشِينَةً، وَيَدُهُ سَخِيفَةً
وَبِالْقَضِيبِ فِي يَدِهِ نَشَرَ الدَّمَارَ التَّامَ
فَوْقَ الْيَابِسَةِ، وَفَوْقَ الْبَحْرِ
وَبِالنَّارِ وَالْبُخَارِ أَدَارَ أَحْلَامِهِ الْمُنْحَرِفَةَ الضَّالَّةَ
فِي أَعْمَاقِ السَّمَاءِ.
وَحَقَّقَ لِنَفْسِهِ السِّيَادَةَ الْعُظْمَى عَلَى عَالَمِ الْجَمَادِ
أَمَّا نَحْوُ الْحَقِيقَةِ الْحَيَّةِ فَقَدْ أَعْمَتْهُ الْغَيْرَةُ
وَفِي أَقْرَبِ الْعُهُودِ إِلَيْنَا جَاءَ اللَّهُ
وَعَنَى تَرَائِيلَ «مَنْتَرَا» لِكَيْ يُرَوِّضَ الْوَحْشَ
وَأَهْيَنَتِ كَبْرِيَاءُ الْمَخْلُوقَاتِ الْفَاقِدَةَ لِلرُّوحِ
فَجَلَسَتْ إِلَهَةَ الْحَيَاةِ
نَاشِرَةً بِسَاطِهَا الْأَخْضَرَ
وَأَنْدَفَعُ الْأَفْقُ عَلَى قِمَمِ الْهَضَابِ الشَّرْقِيَّةِ
وَكَانَ الظُّلَامُ يَحْفُ بِضِيْفَافِ الْبِحَارِ الْغَرْبِيَّةِ

حَامِلَةٌ دَأْسَ السَّلَامِ
حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ الْعِمْلَاقُ الْمُقَيَّدَ قَدْ هَدَأَ قَلِيلًا
هَذَا الْبَرْبَرِيُّ الْأَوَّلَ يَتَّبِاطُ فِي تَارِيخِهِ
وَإِلَىٰ قَلْبِ النَّظَامِ حَمَلَ الْفَوْضَىٰ
وَحِينَ خَرَجَ مِنْ كَهْفِهِ الْمُظْلِمِ
تَمَهَّلَ جُنُونُهُ فِي نَبْضِكَ
وَكَانَتْ تَرَائِيلُ الْمَتَرِ الْإِلَهِيَّةِ
يَتَرَدَّدُ صِدَاها الْعَمِيقَ الْمُدَوِّيَ لَيْلًا وَنَهَارًا
فِي السَّمَاءِ، فِي الْهَوَاءِ، فِي الْغَابِ
كَانَ شَيْطَانُكَ - الْأَفْعَى، شَيْبُهُ
الْمُرْوَضَ يَنْهَضُ مِنْ وَرَاءِ الْقَبْرِ.
تَقْتَلِينَ ذُرِّيَّتَكَ
وَتَجْتَاحِينَ خَلْقَكَ
وَخَيْرًا أَوْ شَرًّا فَقَدْ وَقَعُوا تَحْتَ أَقْدَامِكَ
وَالْيَوْمَ فَإِنِّي أَحْيِي نَصْرَكَ الْجَمِيلَ - الْمُتَبَاهِي

وَيَقْلِبُ مُمَزَّقٍ وَمُهَانَ
وَيَكُلُّ جَسَدِي، وَكُلُّ فِكْرِي
الْمَسُّ، وَأَفْهَمُ
الْحَرَكَةَ السِّرِّيَّةَ لِلْحَيَاةِ الَّتِي تُعَانِقُ كُلَّ شَيْءٍ
مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي يُعَانِقُ كُلَّ شَيْءٍ
وَتَحْتَ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَعَبْرَ أَحْقَابٍ لَا حَصْرَ لَهَا
كُدِّسَتْ الْأَجْسَادُ الْمَفْقُودَةُ
فِي هَذَا الرُّكَامِ الصَّامِتِ مِنَ التُّرَابِ
الَّذِي يَبْتَلِعُ الْأَسْمَاءَ وَالْأَشْكَالَ
وَكُلُّ مَا كَانَ فِي يَوْمٍ مَا مَأْلُوفًا مَأْنُوسًا
حَتَّى أَنَا سَوْفَ أَتْرُكُ مِنْهُ وَجُودِي
قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ
نِهَآيَةَ كُلِّ أَفْرَاحِي وَآلَامِي .

* * *

يَا عَالَمَ الْحُدُودِ الضَّيِّقَةِ
يَا أَيُّهَا الْعَالَمُ الَّذِي يَبْلُغُ السَّمَاءَ
أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمُتَأَمِّلُ
الغَارِقُ فِي الصَّمْتِ العميقِ بِقِمَمِ الْجِبَالِ
أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمُحَاطُ بِالْبِحَارِ
الْمُتَرَدِّدُ صَوْتَهَا فِي مُوسِيقَى الْأَمْوَاجِ
المُهَيَّبَةِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ العَيَاءَ
إِنَّكَ لَجَمِيلٌ فِي كَرَمِكَ وَجُودِكَ
وَلَكِنَّكَ مُرْعِبٌ مُفْزِعٌ فِي عَوَزِكَ وَفَقْرِكَ
فَمِنْ جِهَةٍ
تَبْدُو حُقُولَ الْأَرْضِ مَائِلَةً بِثِقَلِ سَنَابِلِهَا
غَيْرِ النَّاضِجَةِ
وَالنَّدَى الَّذِي يَتَحَلَّلُ مَعَ أَوَّلِ أَشِعَّةِ
الشَّمْسِ الْوَدِيعَةِ
وَالغُرُوبِ الَّذِي يَتْرُكُ فَوْقَ بَيَادِرِ القَمْحِ

الْمُتَمَوِّجَةُ

رِسَالَتَهُ الصَّامِتَةَ . . إني لَمُبَارَكُ

وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى

رَقِصَةُ الرَّهْمِ الشَّيْطَانِيَّةِ

بَيْنَ الْهَيَاكِلِ الْعَظِيمَةِ الْمُوزَعَةِ فِي الصُّحْرَاءِ

مُحْتَرَقَةً، غَيْرَ مُثْمِرَةٍ، شَاحِبَةً مِنَ الرَّعْبِ

وَفِي إِبْرِيلٍ شَاهَدْتُ إِعْصَارَكَ الْمُدَوِّيَّ

يَتَحَرَّكُ كَالنَّسْرِ الْمُنْقَضِ عَلَى الْأَرْضِ

لِيَكِي يُبَدِّدُ كُلَّ أَفْقٍ .

وَزَمْجَرَتِ السَّمَاءُ وَزَارَتْ كَالْأَسَدِ

وَبِضْرَبَةٍ مِنْ ذَيْلِهِ

انْقَلَبَتِ الْغَابَةُ السَّاكِنَةُ عَالِيهَا

وَدَانِيهَا

مِثْلَ أُسَيْرِ غَيْرِ مَغْلُولٍ

لَقَدْ قَلَبْتَ الرِّيحُ سُقُوفَ التُّبْنِ .

وفي الربيع
رأيت من جديد، طراوتك، وريحك
الجنوية تتشير
بين براعم المانجو المعطرة
أغنية اللقاء والافتراق
في تحدي الإغصار
وحفيف الأوراق القلقة
انطلق في صرخة فرح.
أيها العالم

أنت محبوب وقاس، قديم، وجديد على الدوام
وآمن نار التضحية عند بداية الخلق
نهضت وعلى رأسك هالة لا تُنسى
وفي حجك، وعلى طول دربك
زرعت كثيراً من خرائب التاريخ
التي نمت بلا معنى

لقد نَشَرْتِ فِي شَرَايِحِ النَّسِيَانِ
مَخْلُوقَاتِكَ الْمَرْفُوضَةَ
يَا حَامِيَّ الْحَيَاةِ
لَقَدْ غَدُّتِهَا فِي أَقْفَاصِ صَغِيرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ الْهَارِبِ
وَفِي دَاخِلِهَا كَانَتْ تَكْمُنُ الْحُدُودُ
لِكُلِّ لُغْبَةٍ مِنْ لُغْبِ الْحَيَاةِ، لِكُلِّ نِهَايَةٍ عَمَلٍ
إِنِّي أَلْتَمِسُ الْخُلُودَ
لِلْأَكْلِيلِ الَّذِي ضَفَرْتُهُ لَكَ لَيْلًا وَنَهَارًا
أَثْنَاءَ رِحْلَةِ الْأَرْضِ حَوْلَ الشَّمْسِ
تَمْضِي وَتَأْتِي لِحَظَاتٍ عَدِيدَةٍ
فَإِذَا كَانَتْ فِي لِحْظَةٍ مِنْ لِحَظَاتِ هَذَا الزَّمَنِ
الْعَظِيمِ
أَعْطَيْتُ مَعْنَى أَوْ بَعْضَ مَعْنَى
وَإِذَا كُنْتُ بِلُوعَةٍ قُصْوَى قَدْ كَسَبْتُ
جُزْءًا خَصَبًا مِنَ الْحَيَاةِ

فَلتَضَعُ (تِيلاك) الأَرْضِي فَوْقَ جَبِينِي
تِلْكَ السَّمَّةُ الَّتِي تَتَلَأَشِي عِنْدَ اللَّيْلِ
وَفِيهَا تَتَلَأَشِي كُلُّ السَّمَمَاتِ
فِي أَعْمَاقِ اللَّامِجْهُولِ
آه . أَيُّهَا الْعَالَمُ الرَّوَّاقِي اللَّامْبَالِي
قَبْلَ أَنْ تَنْسَانِي بِصِفَةِ تَامَّةٍ
فَإِنِّي أَلْمَسُ قَدَمَكَ الْقَاسِيَةَ الْكَرِيهَةَ
بِأَخْرِ تَحِيَّاتِي

* * *

المنبوذون

إِنَّهُمْ مَنبُودُونَ

بِلا انْتِمَاءٍ إِلَى فِئَةٍ اجْتِمَاعِيَةٍ

لَا يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يُنْشِدُوا التَّرَاتِيلَ الْمُقَدَّسَةَ

وَأَمَامَ بَابِ الْهَيْكَلِ

فَإِنَّ الْكُهَّانَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَقِيدَةً

يُقِيمُونَ الْحَوَاجِزَ فِي الطَّرِيقِ

إِنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَنِ اللَّهِ فِي مَعْبَدِهِ

بَعِيداً عَنِ جَمِيعِ الْحَوَاجِزِ

فِي السَّمَاءِ الْعَامِرَةِ بِالنُّجُومِ

فِي الْغَابَةِ الْمُغَطَّةِ بِالزُّهُورِ

وَفِي الْحُزْنِ الصَّلْدِ

حَيْثُ الْعُشَّاقُ يَلْتَقُونَ وَيَفْتَرِقُونَ

تلك الرؤيا المطوقة المغلقة إلى الله
تقع بعيداً عن متناولهم .
في حياة ماضية
كثيراً ما رأى ذلك العابد
عند ضيفاف نهر بادما
النهر الذي ينخر بلا توقف
الأسس الصلبة للمعبد القديم
راه وفي يده (الإكثارا)
يجوب الطريق المظلمة المنعزلة
باحثاً عن درب الوصول
إلى (إنسان قلبي)
شاعر مثلي
ليست له طائفة
لا يمكنه أن ينشد التراتيل المقدسة
وعبادتي لم تبلع أبداً هذا المعبد

السَّيِّئِ الْمَخْصُصِ لِلَّهِ
فَجَاءَ الْكَاهِنُ إِلَى الْمَعْبَدِ وَسَأَلَنِي
بِاسْمَاءٍ:
هَلْ قَدَّمْتَ وَاجِبَاتِ الْإِجْلَالِ لِإِلَهِكَ؟
فَأَجَبْتُهُ . . . كَلَّا
أَلَا تَعْرِفُ الْقَوَاعِدَ وَالطَّرِيقَ؟
فَأَجَبْتُ . . . كَلَّا
إِذَنْ أَنْتَ بِلَا طَائِفَةٍ؟
وَالْيَوْمَ أَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي
مَنْ هُوَ إِلَهِي؟
وَمَنْ الَّذِي عَبَدْتُ؟
إِعْتَقَدْتُ إِنِّي عَبَدْتُ اللَّهَ هَذَا
الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُ اسْمَهُ عَلَى الدَّوَامِ
وَالَّذِي قَرَأْتُ عَنْهُ
فِي كِتَابَاتٍ كَثِيرَةٍ، فِي لُغَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ

وَلَكِنِّي أَظْهَرَ إِخْلَاصِي
فَلَقَدْ عَبْدْتُهُ بِعِنَايَةٍ
وَالْيَوْمَ أَرَى أَنِّي لَمْ أَظْهَرَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِي
لَيْسَتْ لَدَيَّ طَائِفَةٌ
لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَنْشِدَ التُّرَاثِيْلَ الْمُقَدَّسَةَ
وَحِينَ تَبْلُغُ عِبَادَتِي
الْأَبْوَابَ الْمُغْلَقَةَ لِلْمَعَابِدِ
تَهْرَبُ بَعِيدًا
بَعِيدًا عَنْ كُلِّ حَاجِزٍ
إِلَى السَّمَاءِ الْعَامِرَةِ بِالنُّجُومِ
إِلَى الْغَابَةِ الْمُغَطَّاءِ بِالزُّهُورِ
إِلَى الطَّرِيقِ الْقَاسِيَةِ الْمُؤَلِّمَةِ
حَيْثُ يَلْتَقِي الْعُشَّاقُ وَيَفْتَرِقُونَ
وَكَأَيِّ طِفْلِ
تَلَقَّيْتُ أَوَّلَ (الْمَنْتَرَا)

فِي يَوْمِ مِيلَادِ الْأَرْضِ
(فِي فَرَحَةِ قَلْبِي الْقَوِيَّةِ)
تَلَقَّيْتُهَا وَأَنَا جَالِسٌ فِي حَدِيقَتِي
بَيْنَ الْخَرَائِبِ وَالْجُدْرَانِ الْمُتَدَاعِيَةِ
وَوَسَطِ هَذِهِدَةِ حَفِيفِ أَوْرَاقِ جَوْزِ الْهِنْدِ.
إِنِ الْحَيَوِيَّةُ قَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ تَدْفُقُ
نَبْعِ النَّارِ لِلْحَيَاةِ الْبِدَائِيَّةِ
وَأَعْطَشْتَنِي مَشَاعِرٌ مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ
الرِّسَالَةَ الْغَامِضَةَ لِلْعُهُودِ الْقَصِيَّةِ
فَهَزَّتْ كُلَّ تَفْكِيرِي
الْأَشْيَعَةَ الْحَيَّةَ لِوُجُودِي الذَّاہِلِ
وَضَاعَتْ فِي الْجَسَدِ الْبُخَارِيَّ لِلشَّمْسِ الْقَدِيمَةِ
وَحِينَ تَأَمَّلْتُ السُّهُولَ الشَّتَوِيَّةَ
بِلَا إِيمَارِ
أَحْسَسْتُ فِي قَلْقِ دَمِي

خُطْوَةَ النُّورِ الصَّامِتِ
ذَلِكَ الصَّوْتِ لِحَقْنِي مُنْذُ المِيلَادِ
مُنْذُ بَدَايَةِ العُهُودِ القَدِيمَةِ .
وَحِينَ اتَّأَمَّلُهُ
فَإِنْ فِكْرِي يَنْبَسِيطُ فِي مُعْجِزَةِ الزَّمَنِ اللّائِنِهَائِي
فِي الحَجِّ إِلَى حَيَاةِ الخَلْقِ
وَأَظِلُّ يَقْظًا فِي ذَلِكَ النُّورِ
حَيْثُ مَرَّتْ بِهِ عُهُودٌ عَدِيدَةٌ
وَفِيهِ يَضْطَجِعُ مُسْتَقْبَلِي النَّائِمِ
وَعِبَادَتِي تَتِمُّ كُلَّ يَوْمٍ
فِي فَرَحَةٍ هَذِهِ اليَقْظَةِ .
لَيْسَتْ لِي طَائِفَةٌ
وَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أُشِيدَ التَّرَاتِيلَ المُقَدَّسَةَ
وَلَا أُدْرِي لِمَنْ تُكْرَسُ
عِبَادَتِي غَيْرَ النِّفْعِيَّةِ

التي تقع أبعد من أي طقس ديني
ومن أي عقيدة.

بلا أصدقاء، وكالطفل الصغير
أنظر إلى بعيد

وأعيش أيامي في وحدة.

لقد ولدت في عالم

غير محبوب، ومدنس

عالم بلا جذران ولا شجارات النباله

وبيوت جيرانني محاطة بأسوار أخرى.

كنت طفلاً مجهولاً، خارج الطائفة

وكانت لهم دور جميلة يغشاها الناس

ومن بعيد كانوا يلاحظون حركة

الذهاب والإياب

على طول الطريق المبلطة.

ليست لدي طائفة

وَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أُغْنِيَ التَّرَاتِيلَ الْمُقَدَّسَةَ
وَالنَّاسُ الَّذِينَ تَرَبَّوْا عَلَى الطُّقُوسِ وَالْعَقَائِدِ
لَا يَعْتَرِفُونَ بِالْإِنْسَانِ فِي شَخْصِي وَلَا يَتَعَرَّفُونَ عَلَيْهِ
وَإِذَنْ، فَقَدْ كُنْتُ أَلْعَبُ وَحْدِي فِي الطَّرِيقِ
وَكَانُوا يَجْتَازُونَني بَعِيدًا بِأُرْدِيَّتِهِمُ الطَّوِيلَةَ
وَيَقْطِفُونَ الزُّهُورَ لِعِبَادَةِ إِلَهِهِمْ
زُهُورٌ مَقْطُوفَةٌ وَفَقًا لِقَوَاعِدِ
الْكِتَابِ الْمُقَدَّسَةِ .

أَمَا أَنَا فَقَدْ أَغْفَلْتُ أَنْ أُقَدِّمَ لِإِلَهِي
زُهُورًا مِنْ كُلِّ الْبِقَاعِ
زُهُورًا بَارَكْتَهَا الشَّمْسُ نَفْسُهَا
وَأَهْمَلْتُهَا الْجُمُوعَ .

لَقَدْ تَشَرَّدْتُ شَوْقًا إِلَى التَّوْحِيدِ
بِالْإِنْسَانِ

وَالْبَيْتُ الْمِضْيَافُ لَمْ يَكُنْ

لَهُ جُدْرَانٌ وَلَا حُرَّاسٌ
وَبَعِيداً عَنِ الْجَمَاهِيرِ وَجَدْتُ أَصْدِقَاءَ
فِي وَحْدَتِي
أَصْدِقَاءَ مِنْ أَعْظَمِ عُهُودِ التَّارِيخِ
جَاءُوا بِالرُّسَالَةِ الْعُظْمَى .
إِنَّهُمْ أَبْطَالٌ ، وَفَائِزُونَ عَلَى الْمَوْتِ .
هُمْ أَصْدِقَائِي وَأَقْرَبَائِي
طَائِفَتِي وَسُلَّالَتِي
وَقَدْ تَطَهَّرْتُ بِطَهَارَتِهِمُ الْخَالِدَةَ
كَأَنْوَاقِ قِصَادِ الْحَقِيقَةِ
يَعْبُدُونَ النُّورَ
جَدِيرِينَ بِامْتِلَاكِ (أَمْرِينَا)
وَفِي الدَّائِرَةِ الضِّيْقَةِ
أَضَعْتُ الْإِنْسَانَ
وَوَجَدْتُهُ هُنَاكَ

حَيْثُ يَتَجَاوَزُ حُدُودَ أَيِّ أَرْضٍ
وَصَلَّيْتُ لَهُ بِأَيْدٍ مَضْمُومَةٍ
آه، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْخَالِدِ
أَنْتَ الَّذِي تَخُصُّ كُلُّ الْبَشَرِ
انْقِذْنِي مِنْ وَقَاحَةِ الْكِبْرِيَاءِ
الَّتِي تَحْمِلُ طَائِعِ (الْإِقْصَاءِ)
آه أَيُّهَا الْوَجُودُ الْعَظِيمِ
لَقَدْ أَبْصَرْتُكَ أَبْعَدَ مِنْ حُدُودِ الظُّلْمَةِ
إِنِّي مُبَارَكٌ، لَيْسَتْ لِي طَائِفَةٌ
أَيُّ طَائِفَةٍ.
وَفِي أَحَدِ أَيَّامِ الرَّبِيعِ
جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ
فِي غَابَاتِي الْمُنْعَزَلَةِ
فِي هَيْئَةِ الْعَاشِقَةِ اللَّطِيفَةِ
جَاءَتْ لِكِي تُعْطِي لِأَغَانِي الْحَانَا

وَفَجْأَةً، اخْتَرَقَتْ مَوْجَةَ عَاصِفَةً

ضِفَافَ قَلْبِي

وَأَخَمَدْتُ كُلَّ لُغَةٍ

وَمِنْ شَفَتِي لَمْ أَنْبَسْ بِكَلِمَةٍ

كَانَتْ تَقِفُ إِلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ

مُحَجَّبَةٍ

وَأَلَقْتُ نَظْرَةً عَلَى وَجْهِهِ الَّذِي

جَعَلَهُ الْأَلَمُ حَزِينًا

وَبِخُطُواتٍ سَرِيعَةٍ اقْتَرَبْتُ

مِنْهُ وَجَلَسْتُ بِجِوَارِي

وَأَخَذْتُ يَدِي فِي يَدَيْهَا

وَقَالَتْ:

أَنْتِ لَا تَعْرِفُنِي، وَلَا أَنَا أَعْرِفُكَ

كَيْفَ يُمَكِّنُ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ؟

قُلْتُ:

سَوْفَ نُشِيدُ كِلَانَا جِسْرًا أَبَدِيًّا
بَيْنَ مَخْلُوقَيْنِ ، يَجْهَلُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ .
هَذِهِ الْأَعْجُوبَةُ الْقَاهِرَةُ
تَكْمُنُ فِي قَلْبِ الْأَشْيَاءِ
لَقَدْ أَحْبَبْتَهَا .

تَيَّارٌ مِنْ هَذَا الْحُبِّ
أَحَاطَ بِهَا فِي عِنَاقٍ هَادِيءٍ
مِثْلَ نَهْرِ الْقَرْيَةِ الْمَحْدُودِ الْعُمُقِ
ذَلِكَ التَّيَّارُ الَّذِي يَتَحَرَّكُ بِطُءٍ
يَتَدَفَّقُ قُرْبَ الضِّفَافِ الْمُنْخَفِضَةِ
لِلْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ الْعَادِيَةِ لِلْمَحْبُوبَةِ
وَعَالِيًا مَا يَجْعَلُهُ الْجَفَافُ نَحِيلاً هَزِيلاً
وَكَثِيراً مَا يَمْلأهُ مَطَرٌ يُولِئُو السَّخِيَّ مَاءً وَرَقْرَقَةً
كَانَ الْوَجْهَ الْمَأْلُوفُ

للمرأة التي أحببتُها بعض المرات
وخذعتها مرات أخرى .
معها بحجاب اللامعنى
إن السيل الآخر لذلك الحب
كان يحمل النداء العظيم من المحيط .
ومن أعماقه
تظهر امرأة نبيلة وكريمة
بعد حمام تطهيري في ذلك الماء العظيم
في هيئة ديانا المهزومة .
ولقد نفذت إلى عقلي وجسدي
خالعة الكمال علي وعلى غنائي
لقد حافظت على اللهب الخالد للافتراق حياً
محباً في أعماق فكري
رأيت في النور لطفها الخالد
ورأيتها في تدفق الربيع بين الزهور والأوراق

وَفِي شَرَارَةِ النُّورِ الشَّمْسِيِّ
المُوزَعِ مِنْ أَوْرَاقِ السَّيْشُو المْتَفَرِّقَةِ .
لَقَدْ سَمِعْتُ النِّغَمَ

الَّذِي عُرِفَ بِسُرْعَةٍ عَلَى أوتَارِ (سِتَارِ)
حَوْلِ المَشْهَدِ المْتَغَيِّرِ لِلْفُصُولِ

فِي النُّورِ وَفِي الظِّلِّ
رَأَيْتُ رَقِصَةَ خُمْرِهَا المْتَعَدِّدَةَ

الألْوَانِ .

لَقَدْ رَأَيْتُهَا جَالِسَةً قُرْبَ عَرْشِ (الْخَلْقِ)

إِلَى يَسَارِ اللَّهِ

وَرَأَيْتُ الجَمَالَ حِينَ يُشْتَمُّ

بِالاتِّصَالِ غَيْرِ الطَّاهِرِ مَعَ المَشْوَةِ .

والكْرِيهِ

والنُّيرَانَ المُدْمِرَةَ الَّتِي تَقْدَحُ فِي عَيْنِي (ردراني)

جَفَفَتْ وَكَرَ التُّوبَةَ الخَفِيَّ

وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، هُنَاكَ
جَمَعْتُ فِي أَغَانِيَّ
السِّرَّ الْأَوَّلَ لِلخَلْقِ ، وَكَشَفْتُ النُّورَ
وَالسِّرَّ الْأَخِيرَ لِلخَلْقِ ، وَهِيَ خِيفَةٌ
الْحُبِّ الْخَالِدَةِ
لَيْسَتْ لِي طَائِفَةٌ
وَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أُغْنِيَ التَّرَاتِيلَ الدِّينِيَّةَ
وَبَعِيدًا عَنْ جَمِيعِ الْحَوَاجِزِ لِجَمِيعِ الْمَعَابِدِ
فَقَدْ تَمَّتْ الْيَوْمَ عِبَادَتِي
قَادِمًا مِنْ مَمْلَكَةِ اللَّهِ
مُنْتَهِيًا إِلَى مَمْلَكَةِ الْإِنْسَانِ
خَاتِمًا فِي السَّمَاءِ (الْوُجُودِ الْمُسْتَنِيرِ)
خَاتِمًا فِي الْفَرْحَةِ الْعَمِيقَةِ بِقَلْبِ
الْإِنْسَانِ

افريقيا

في ذلك العهد الحائر
حين لم يرُضَ الخالقُ عمَّا خلقَ
فدمر كلَّ شيءٍ.
فصَلِّكِ البَحْرَ الغاضِبُ
يا إفريقيا

عن حُضْنِ الأَرْضِ القَدِيمَةِ
وزينكِ بالغَابَاتِ الكَثِيفَةِ
التي لا ينفذُ إليها النورُ
وهناك عند الزوايا الخَفِيَّةِ
جمعتِ أسرارَ اللامفهومِ
وفككتِ سرَّ الأَرْضِ
والسَّماءِ والماءِ.
وسِحْرَ الطَّبِيعَةِ

المتجاوزُ لإدراكِ البصرِ الإنساني
أخذَ يُنْضِجُ رسالتهُ التي لم تتسربْ
يا أفريقيا، المحميةُ بالشمسِ
المتدثرةُ بحجابِ
ترقدُ إنسانيتك تحتَ نظرةِ كدرةِ
عامرةٍ بالاحتقارِ
وصلَ صيادو البشرِ
بجذوعهم الحديديةِ
وبمخالبهم التي تفوقُ في حدتها مخالب النُمرِ
وقد أعمى أفكارهم الغرورُ
فكانتْ أشدَّ ظلمةً من غاباتكِ.
والطمعُ القاسي للإنسانِ المتمدِّنِ
عرَّضَ نفسه عارياً في خزيهِ البشريِ.
ودروبُ الغاباتِ
كانتْ تُردِّدُ صدَى صيحاتكِ
الخاليةِ مِنَ الكلماتِ

وقد تَلَطَّختُ بِالدِّمَاءِ وَالدُّمُوعِ .
وَأَحْذِيهِ اللَّصُوصِ الْمَسْمُورَةِ
تَرَكَتْ خَلْفَهَا الْأَثَرَ الَّذِي لَا يُمَحَى
فِي التَّارِيخِ الْمَخْزِيِّ .
وَبِالذَّاتِ ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
وَفِيمَا وَرَاءَ الْبِحَارِ
كَانَتِ الْكَنِيسَةُ تَدُقُّ أَجْرَاسَهَا
دَاعِيَةً النَّاسَ إِلَى الْعِبَادَةِ
وَالْأَطْفَالَ كَانُوا يَلْعَبُونَ فِي أَحْضَانِ أُمَّهَاتِهِمْ .
وَفِي أَنْشِيدِ الشَّاعِرِ
كَانَتْ تَرْتَعِشُ الْإِبْتِهَالَاتُ إِلَى اللَّهِ
وَالْيَوْمَ ، حِينَ تَخْتَقُ الْأَصْدَاءُ اللَّيْلَ
وَتَخْرُجُ الْحَيَوَانَاتُ مِنْ جُحُورِهَا
مُتَنَبِّئَةً بِنَهَايَةِ عَهْدِ
تَعَالَى ، يَا شَاعِرَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ
لِتَرْتَفِعَ بَيْنَ أَضْوَاءِ الْغُرُوبِ الْوَاهِنَةِ

وأمام المخزيين
وتعلق، (لتغفيري لتغفيري)
فلتكن هذه رسالتك الأخيرة
يا أفريقيًا

أَغْنِيَات

إِن الصَّرْحَةَ الَّتِي تَتَعَالَى فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي
هِيَ أَيْضاً صَرْحَةٌ أَرْضِكَ
وَالخَيْطُ الَّذِي تَشُدُّنِي بِهِ
يَشُدُّهَا بِي أَيْضاً
لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَعَبَدْتُهَا فِي أَعْمَاقِي
وَبَحَثْتُ هِيَ عَنِّي حَتَّى عِنْدَمَا كُنْتُ مُسْتَغْرِقاً فِي تِلْكَ الْعِبَادَةِ
وَعَبَّرَ الْمُحِيطَاتِ الوَاسِعَةَ جَاءَتْ لِتَسْرِقَ قَلْبِي
وَنَسِيْتُ العَوْدَةَ
بَعْدَ أَنْ فَقَدْتُ كُلَّ أَشْيَائِهَا
لَقَدْ خَانَهَا سِحْرُهَا الْجَذَابُ
وَنَصَبْتُ الشَّبَّاكَ

دُونَ أَنْ تَذُرِّي
هَلْ صَادَتْ، أَمْ صِيدَتْ

أَنْتِ
يَا آخِرَ نَجْمَةٍ عِنْدَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ
دَعِي رِسَالَتِكَ
شِبْهَ النَّائِمَةِ وَالْخَفِيَّةِ
فِي زَهْرَةِ الْفَجْرِ الْأُولَى
لِيَقْدِرَ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ جَمِيعِ الْأَفْرَاحِ
أَنْ يُقَبِّلَنِي فِي حَيَاتِي الْجَدِيدَةِ
عِنْدَ نِهَائَةِ تِلْكَ الْحَيَاةِ الَّتِي انقَضَتْ
وَلِيُمْكِنَ لِكُلِّ أَحْلَامِ اللَّيْلِ أَنْ تُزْهِرَ
فِي أُغْنِيَاتِ جَدِيدَةٍ
فِي سَاعَةِ الْبَعْثِ
وَلِيُمْكِنَ لِهَذِهِ الْمُتَوَحِّدَةِ

المُقيمة في قلبي
 أن تبدو في ثوب الزفاف
 عند صباح حياتي الجديدة

* * *

هذا (الأنا) الذي يضطربُ
 على طول موجة الزمن
 أراه من بعيد
 مع التراب والماء
 مع الثمر والزهر
 ومع كل شيء أراه مُندفعاً
 عائماً فوق السطح
 تدفعه الأمواج
 راقصاً على إيقاع الفرحة والألم
 وتؤلّمه أصغر الجراح

أَرَاهُ مِنْ بَعِيدٍ

هَذَا (الأنَا) لَيْسَ أَنَايَ الْحَقِيقِيَّ

مَا زِلْتُ كَامِنًا فِي أَعْمَاقِ نَفْسِي

وَلَا أَضْطَرِبُ فِي تَيَّارِ الْمَوْتِ

إِنِّي حُرٌّ، بِلَا شَهَوَاتٍ

إِنِّي سَلَامٌ

إِنِّي مُسْتَنِيرٌ

وَأَرَاهُ مِنْ بَعِيدٍ

يَا صَدِيقِي

إِنَّكَ لَفِي انْتِظَارِي

فِيمَا وَرَاءَ ضِيفِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ

فِي السَّمَاءِ الصَّامِتَةِ فِي قَلْبِي.

عَرْشُكَ مَغْمُورٌ بِالنُّورِ.

وَبِأَيِّ أَمَلٍ وَفَرَحٍ أَتَّجَّهُ إِلَيْهِ

وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِيَدَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ .
إِنَّ اللَّيْلَةَ الصَّامِتَةَ قَدْ نَشَرَتْ
ضَفَائِرَهَا السُّودَاءَ حَوْلَ قَدَمَيْكَ
وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ ، أَيُّ أُغْنِيَةٍ تَمَلَأُ
أَرْجَاءَ الْكَوْنِ ، سَتَهْبِطُ هَذِهِ
الْأَرْضَ مَنَسَابَةً مِنْ مَعْرَفِكَ .
إِنَّ الْأَرْضَ تَتَدَمَّجُ فِي تَدَفُّقِ الْأَنْغَامِ
وَأَنَا أَضِيعُ فِي الْأَغْنِيَاتِ
الَّتِي تَتَنَفَّسُ كَأَبَةٍ

لَقَدْ انْتَهَى النَّهَارُ
فَلْتَسْحَبْ عَنْ عَيْنِيَّ
حِجَابَ نُورِ الشَّمْسِ الْغَارِبَةِ .
فَفِي قَلْبِ الظَّلَامِ
تَعِيشُ مَنَابِعُ النُّورِ الْخَالِدِ

فَلتَسْكُبْهَا فِي أَعْمَاقِي .

وَاجْعَلْ فِي النُّهَاقِ

كُلَّ الكَلِمَاتِ

تَنْصَهْرُ وَتُصْبِحُ كَلِمَةً وَاحِدَةً .

وَدَاخِلَ قَلْبِ الصَّوْتِ الصَّامِتِ

اعْرِفْ تِلْكَ الْأَنْغَامَ الْخَالِدَةَ .

تِلْكَ الْأَنْغَامَ تَهْمِسُ إِلَى

أُذُنِي

* * *

حِينَ افْتَرَقْنَا، فَكَّرْتُ

أَنَّ الدُّمُوعَ لَنْ تَكْفَى عَنِ الْإِنْسِيكَابِ أَبَدًا .

وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَفِي غُبَارِ حَوَافِي الطَّرِيقِ

أَخَذَتِ الزُّهُورُ تَذْبُلُ

وَتَسَاقُطُ مِنْ إِكْلِيلِي
عَلَى غَيْرِ عِلْمِي
مَتَى يَسْقُطُ حِجَابُ النُّسْيَانِ فَوْقِي؟
وَتَدْرِيجِيَا أَخَذَ قَلْبِي يَقْسُو
وَفَكَّرْتُ فِي أَنْ الدُّمُوعَ لَنْ تَنْسَكِبَ أَبَدًا
أه، وَلَكِنْ حِينَ قَابَلْتُهَا فَجَاءَتْ،
فِي إِحْدَى زَوَايَا الطَّرْقِ
أَخَذَتْ تَنْهَمِرُ دُمُوعٌ لَا حَدَّ لَهَا.
حَتَّى فِي نِسْيَانِي
تَحَرَّكَتْ دَوْمًا أَمْوَاجٌ مِنَ الدُّمُوعِ

قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَ اللَّيْلُ
فَلْتَوَقِدْ مِصْبَاحَ حَيَاتِي
بِلَهْيِكَ
أَيُّهَا الْحَبِيبُ الْأَثِيرُ

إِنِّي أَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ
حِينَ تَقْدِمُ إِلَيَّ
سَالِكًا طُولَ الطَّرِيقِ
حَامِلًا لَهَيْبِكَ
وَقَلْبِي بِقِيَمَتِهِ الْمَفَكَّرَةِ
سَيَتَنَوَّرُ بِذَلِكَ اللَّهَيْبِ

إِنَّ الْمَاءَ الْمَأْسُورَ فِي حِضْنِ الْأَرْضِ
لَمْ تَعَثُرْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ
حِينَ هَرَبَ مِنْهَا إِلَى السَّمَاءِ الْبَعِيدَةِ .
وَالغُيُومَ الْكثِيفَةَ رَسَمَتْ هُنَاكَ رُسُومًا غَامِضَةً .
فَلَمْ تَعَثُرْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ
وَحِينَ ذَاكَ هَزَّهَا الرَّعْدُ بِنَارِ الْأَلَمِ
وَالعَاصِفَةَ الْمُرْتَجِفَةَ دَفَعَتْ بِهِ إِلَى جَمِيعِ
الْأَتِّجَاهَاتِ .

وَالكَثْرُ الَّذِي كَانَ فِي وَقْتِ مَا قَرِيبًا
عَادَ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى الْقَلْبِ
فَجَاءَ فِي الدُّمُوعِ طُوفَانًا
وَهُنَاكَ وَجَدْتُهُ الْأَرْضُ فِي آخِرِ الْمَطَافِ

إِنَّ النُّورَ قَدْ غَابَ عَنِ اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ
وَوَصَلَ بِخُطُواتٍ لَطِيفَةٍ
وَحِينَ تَقْطَعُ هَذَا الطَّرِيقَ
سَتَعْرِفَ بَيْتِي الرَّيفِي الْمَعْطَرُ (بِالشَّامْبَاكِ)
الَّذِي يُزْهِرُ عَلَى جَانِبِ الْمَعْبَدِ
سَأُظَلُّ سَاهِرًا طُولَ اللَّيْلِ
وَسَوْفَ أُغْنِي

عَلَى أَمَلٍ فِي أَنْ تَبْلُغَكِ أُغْنِيَاتِي
وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ يَأْخُذَنِي النُّعَاسُ
فِي نِهَآيَةِ اللَّيْلِ

وَمِنْ صَوْتِي الْمُرْهَقِ
تَحْتَفِي الْأَلْحَانِ

آه، اجْعَلْ رُوحِي نَقِيَّةً
فِي شَلَالِ الضِّيَاءِ الصَّبَاحِيِّ
وَأَمْسَحْ عَنِّي الْعُبَارَ الَّذِي يُغَطِّبُنِي وَيُخْفِنِي
تلك النَّاعِسَةُ فِي أَعْمَاقِي المَأْخُوذَةُ فِي شِيَاكِ النُّومِ
والمِسْهَاءِ بِلُطْفِ السُّوطِ الذَّهَبِيِّ لِجَبِينِ الفَجْرِ
البَاكِرِ

إِنَّ الرِّيحَ تُهْبُ مِنْ قَلْبِ الكَوْنِ
رِيحَ الحَيَاةِ المَجْنُونَةِ، مُحَمَّلَةً بِالأَغْنِيَاتِ
فاجْعَلْ قَلْبِي يَتَجَاوَبُ بِلمَسِّهَا الرِّقِيقَةَ

* * *

مِصْبَاحُ الأَرْضِ يَتَأَجَّجُ فِي حِضْنِ الأُمِّ الأَرْضِيَّةِ

وَنَجْمَةُ الْمَسَاءِ، فِي هَيْئَةٍ تَأْمَلِيَّةٍ، تَرُقُبُ
نُورَهَا.

إِنَّ النُّورَ مِثْلَ النَّظَرَةِ الْقَلِيْقَةِ لِلْمَحْبُوبِ الذَّاهِلِ عَنِ نَفْسِيهِ
يَصِيبُ مِثْلَ الْخَوْفِ الَّذِي يَرْتَجِفُ فِي الْأَرْضِ
الْخَضِرَاءِ

وَيَنْبِضُ بِأَلْمٍ فِي الرِّيحِ الَّتِي لَا تَسْتَقِرُّ
إِنَّ صَوْتَ نَجْمَةِ الْمَسَاءِ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ
حَامِلًا الْبَرَكَاتِ

وَاللَّهَبُ الْخَالِدُ مُتَشَوِّقٌ إِلَى التَّاجِجِ
وَالِاشْتِعَالِ فِي لَهَبٍ فَا نِ .

فِي قَلْبِ الرَّعْدِ يَلْهُو النَّغْمُ
فَأَسْتَيْقِظُ عَلَى إِيقَاعِهِ
وَأَنْتَشِي بِتِلْكَ الْحَيَاةِ
الْمُخْتَفِيَّةِ فِي قَلْبِ الْمَوْتِ

عند اندفاع العاصفة
 يرقص قلبي فرحاً
 فانتزعني من حِضْنِ الرَّاحَةِ
 وغطّسني في العمقِ
 حيث يسود الأمنُ في جلالِ
 وسطِ القلقِ .

لقد أفعِمَ كأسُ حياتي
 بالرحيقِ الذي ملأتهُ به
 أنتَ لا تعرفُ، أنتَ لا تعرفُ
 خفيّةً، ودونَ أن يراك أحدٌ
 وكمثلُ الزهرِ الذي يغزو الليلَ بعطره
 أفعمتَ قلبي بأغانيكِ

أنتَ لا تعرفُ، أنتَ لا تعرفُ

لَقَدْ حَانَ وَقْتُ الْفِرَاقِ
 فَارْفَعِ وَجْهَكَ اللَّطِيفَ، وَحَدِّقْ فِيَّ
 وَبِمَوْتِ لَطِيفِ أَهْبِ حَيَاتِي عِنْدَ قَدَمَيْكَ
 الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ تَعْرِفْهُ، لَمْ تَعْرِفْهُ
 هَلْ يُمَكِّنُ لَيْلَتِهِ الصَّامِتَةَ مِنَ الْأَلَمِ الْخَفِيِّ
 أَنْ تَنْتَهِيَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ اللَّيْلِيَّةِ؟

بُنُورِ عَيْنِيَّ

رَأَيْتُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ بِالْخَارِجِ
 أَمَا الْآنَ وَقَدْ انْطَفَأَ هَذَا النُّورُ
 فَإِنِّي أُبْصِرُ دَاخِلِي
 لَقَدْ مَثَلْتُ مَعَكَ فِي مَسْرَحِ الْعَالَمِ
 فَاخْتُمِ هَذِهِ التَّمْثِيلِيَّةَ
 لِيَبْدَأَ لِقَاءَ الْقُلُوبِ
 إِنْ أَوْتَارَ (فِينَا) قَدْ لُمِسَتْ

و(فِينَا) الْقَلْبَ مَا يَزَالُ يُغْنِي
الْمِسْنِي بِنَارِكَ
الْمِسْنِي بِنَارِكَ
اصْنَهْرُ وَطَهَّرْ حَيَاتِي
وَأَرْفَعْ جَسَدِي
وَأَجْعَلْ مِنْهُ مِصْبَاحًا فِي مَعْبَدِكَ
وَأَجْعَلْ مِنْ أَغَانِي
الزَّيْتِ الَّذِي يُوقِدُ اللَّهَيْبِ
فِي قَلْبِ اللَّيْلِ
تُزْهِرُ النُّجُومُ بِلَمَسَاتِكَ
وَلَوْعَتِي الْمُلتَهَبَةُ
تَرْتَفِعُ نَحْوَ السَّمَاءِ

نهاية اليوم

حِينَ يَصْمُتُ النَّايُ

وَيَتَبَدَّدُ النُّورُ

وَحِينَ يُنْزَلُ السَّتَّارُ عَلَى مَشْهَدِ الْحَيَاةِ

وَلَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ لِرِثَاءِ الشَّاعِرِ

وَيَظَلُّ الرَّئِيسُ فِي بَيْتِهِ يَلْعَبُ الْوَرَقَ

وَلَا يَدْعُو إِلَى اجْتِمَاعِ إِحْيَاءِ الذِّكْرِ

أَعْرِفُ أَنَّ الزَّهْرَ هِيَ الَّتِي سَتَذْكُرُنِي

وَفِي كُلِّ مَكَانٍ حَوْلِي تَعْرِفُ النَّيَّاتُ أَلْحَانَهَا

وَهِيَ تَحْتَفِلُ بِكُلِّ أَعْيَادِ الْفُصُولِ

فِي الرَّبِيعِ ، وَالخَرِيفِ وَفِي مَوْسِمِ الْأَمْطَارِ

هُنَاكَ سَيُزِينُ مَكَانِي بِكُلِّ الْحُبِّ

فِي الطَّرَاوَةِ ، وَفِي الْإِخْضِرَارِ الْمُنْعِشِ

وصمّيتي المغمور بأغاني الطيور
وأعرف أن في الغابات
سيتردد صدّي هذه الرسالة
لقد أعطيت لأنغامهم كلمات الشاعر
سيتردد صداها في قطرات المطر.
في رعد الغيوم
في ألوان الفجر الباكر
أعمل على أن يحفظ ذكري
حيث حفيف الأوراق
وحيث الندى يتألق في بسّمات خاطفة
وحيث الظلال تنام في ضوء الشمس
وحيث يبدو العمل كأنه تسليّة
وحيث يوقد المصباح في وحدة
والراحة تغمّر وعاء العطايا
بأحلام متعدّدة الألوان

الجواب

لا تَسْأَلْنِي
مَا هُوَ الْخَلَاصُ؟
وَأَيْنَ يُوجَدُ؟
لَسْتُ بَحَاثًا، وَلَكِنِّي شَاعِرٌ فَحَسَبُ
أَعِيشُ مُلْتَصِقًا بِهَذِهِ الْأَرْضِ
وَأَمَامِي يَجْرِي نَهْرُ الْحَيَاةِ
حَامِلًا فِي تَيَّارِهِ
النُّورَ وَالظَّلْمَ
وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ
وَالرِّبْحَ وَالْخَسَارَةَ
وَالدَّمْعَ وَالابْتِسَامَ
كُلُّهَا أَشْيَاءٌ تَتَلَاشَى

ثُمَّ تُنْسَى

وَعَلَى مِيَاهِ هَذَا النَّهْرِ

يُطَلُّ الْفَجْرُ بِأَلْوَانِهِ الْعَمِيقَةَ

وَيَنْشُرُ الْغُرُوبُ رِدَاءَهُ الْقُرْمُزِي

وَالْأَشِعَّةُ الْقَمَرِيَّةُ تُنْزِلُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ

كَلِمَاتِ الْأُمِّ الرَّقِيقَةِ النَّاعِمَةَ .

وَالنُّجُومُ تُرْتِّلُ صَلَوَاتِهَا .

وَعَلَى أَمْوَاجِهِ

يَبِثُّ الْمَدْهُورِي عَطَاءَهُ

وَتَسْكُبُ الطُّيُورُ أَغَانِيَهَا .

وَفِي ذَلِكَ الْإِيقَاعِ

تَتَلَا حَمَّ عِبُودِيَّتِي وَحُرِّيَّتِي .

لَا أُرِيدُ الْإِحْتِفَازَ بِشَيْءٍ

وَلَا التَّعَلُّقَ بِشَيْءٍ

وَلَا الْارْتِبَاطَ بِرَوَابِطِ الْوَحْدَةِ وَالْإِنْفِصَالِ

ولكنني أريد أن أتموج مع كل شيء
رافعاً أشرعتي للريح الزائلة العابرة.
آه أيها الجواب العظيم
إن الطرق العشر لمفتوحة أمامك
ليس لك هيكل
وليس لك سماء
وليس لك نهاية أخيرة
وفي كل خطوة تلمس الأرض المقدسة
في السير معك ،
أنت الذي لا يعرف الراحة ،
أجد خلاصي
في كنوز الرحلة
وفي نور الظلمة
وفي صفحات الخلق الجديدة دوماً
وفي كل لحظة تحلل

يَتَرَدَّدُ صَدَى
رَقْصِكَ وَغِنَائِكَ

* * *

انعتاق (١)

أَنْتَ
أَيُّهَا الْجَمَالُ الْأَبَدِيُّ
هَبْنِي الْقُوَّةَ، وَاعْطِنِي الشَّجَاعَةَ
اعْطِنِي سَمَاءَ الشُّعُورِ بِالرُّضَى
هَبْنِي الْإِنْعِتَاقَ اللَّامِحْدُودَ
مَنْ دَوَسَ التُّرَابَ الْيَوْمِيَّ
وَلَا تَدْعُنِي
أَتَرَنَّحُ فِي سَيْلِ اللَّحْظَةِ الصَّائِبِ .
فِي اسْتِلَابِ اللُّوْعَةِ الْمُرِيبِ
تَعِيشُ شَجَاعَةً لَا تَعْيَا فِي قَلْبِ (جُوتِي)
إِنَّهُ جَمِيلٌ وَلَطِيفٌ
حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ قَطْرَاتُ الْمَطَرِ الدَّافِقَةُ

تُصِيبُهُ

وَلَكِنَّهَا تُفْعِمُ حَيَاتَهُ الدَّافِقَةَ بِانْسِجَامٍ مَعَ الْأَبَدِيَّةِ

إِنَّهُ يَتَوَجَّعُ بِلُطْفٍ بِسِيْطِ فَوْقِ فِرَاسِ الشُّوْكَ

وَالكَمَالُ يَنْعَكِسُ فِي قَلْبِهِ اللَّطِيفِ

أَعْطَانِي تِلْكَ الشَّجَاعَةَ الْهَادِئَةَ

الَّتِي تُحَصِّنُ نَسِيَانَهُ لِنَفْسِهِ .

جَمِيلَةٌ فِي مَحْدُودِيَّتِهَا

تِلْكَ الْبَسَاطَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الشُّكُوكَ .

فَلْتُوَحِّدْ فِي إِيقَاعِ مِنَ الْأَمْنِ وَالطَّمَانِينَةِ

كُلِّ أَفْكَارِي وَكُلِّ تَعْبِيرِي

* * *

انعتاق (٢)

للهُرُوبِ بَعِيداً
بَعِيداً عَنِ نَفْسِي .
فإِنِّي أَلْتَمِسُ لُطْفَكَ
وَدَعْوَتَكَ
أَيُّهَا الْعَظِيمُ اللَّامَنْظُورُ .
فَلتَجْعَلْ أَلْحَانَ يُولِيو المُمَطِّرِ
تَمَلُّاً قَلْبِي
وَتَعزِيفَ فَوْقَ نَابِي
وَتُسَيِّبِي
الصَّخْبَ الدَّائِمَ للأَحْيَاءِ مِنْ حَوْلِي

وَجَذَبَ الْأَرْضِ تَحْتَ أَقْدَامِي
إِنِّي أَنْتَظِرُ ثَابِتًا كُلَّ يَوْمٍ ، عِنْدَ حَافَةِ الطَّرِيقِ .
إِنِ النَّهَارُ يَنْتَهِي .
وَالظُّلَالُ تَزْدَادُ ظُلْمَةً .
وَالشَّمْسُ الْمُتَعَبَةُ تَبْحَثُ عَنِ الْأَمْنِ
فِيمَا وَرَاءَ الْأُفُقِ .
وَمِثْلُ النَّهَارِ الَّذِي يَبْتَعِدُ بِحُطُوتِ كَبِيرَةٍ
نَحْوِ اللَّانِيهَائِي الْمَجْهُولِ
حَاجًا وَحِيدًا فِي الطَّرِيقِ الْمُظْلِمَةِ
بِلَا دَرْبِ
تَائِهًا فِي أُغْنِيَةٍ مِنْ أَغْنِيِ اللَّانِيهَائِي
هَكَذَا اجْعَلْنِي مُتَجَاوِزًا فِي عَطَائِي لِذَاتِي
وَاجْعَلْ هَذَا الْفَرَاغَ يَمْتَلِئُ بِالْأَنْعَامِ .
وَقُدِّنِي مِنْ دَرْبٍ إِلَى دَرْبٍ
أَيُّهَا الْجَلِيلُ اللَّامَنْظُورُ

عازف الناي

يَا عَازِفَ النَّايِ

اعزِفْ نايَكَ

ودعني أسمع اسمي الجديد .

هكذا كتبتُ إليك أولَ حُرُوفي

أتذكرُ؟

إني فتاةُ البِنغال . . فتأثُك

إن الله لم يُنفِقْ وقتاً طويلاً

ليشكُلَ مِنِّي مخلُوقاً بشرياً

ولكنه تركني غيرَ كامِلة .

بينَ الدَّاخِلِ والمَخارجِ

بينَ المَاضِي والمَاضِرِ

بَيْنَ الْفِكْرِ وَالشُّعُورِ
وَبَيْنَ الشَّهْوَةِ وَالْقُدْرَةِ
لَا يُوجَدُ انْسِجَامٌ كَامِلٌ.
لَمْ يَضَعْنِي فِي زَوْرَقِ الْعَهْدِ الْحَدِيثِ
وَلَكِنَّهُ شَدَّنِي إِلَى الضِّفَّةِ الْمُنْخَفِضَةِ
مِنْ تَيَّارِ الزَّمَنِ.
هُنَاكَ، فِي النُّورِ السَّاطِعِ
أَرَى بِيَصْرٍ وَاهِنٍ الْعَالَمَ الْبَعِيدَ
إِنَّ عَالَمِي مُصَابٌ بِالْفَقْرِ
وَلَا يُمَكِّنُهُ لِأَيِّ سَبَبٍ أَنْ يَكُونَ مُنْعَمًا.
إِنَّهُ يَمُدُّ يَدَيْهِ
وَلَكِنَّهُ لَا يَبْلُغُ شَيْئًا
وَالنَّهَارُ لَا يَنْتَهِي
وَأَتَأَمَّلُ الْمَجْرَى مُنْتَظِرَةً
أَنْ أَرَى الزَّوْرَقَ

وَقَدْ سُحِبَ بَعِيداً ، هُنَاكَ فِي ضِفَّةِ الْحُرِّيَّةِ .
 وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالذَّاتِ
 تَرَدَّدَ صَدَى نَائِكَ
 يَعْرِفُ أَنْعَامَ الْحَيَاةِ الْمَلَأَى
 وَفِي النَّبْضِ الْخَامِدِ لِلْعُرُوقِ
 يَعُودُ تَيَّارُ الْحَيَاةِ
 أَيِ انْسِجَامِ هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ؟
 مِنَ الَّذِي يَعْرِفُ أَيَّ لَوْعَةٍ
 تَنْطَلِقُ فِي قَلْبِ أَيِّ وَاحِدٍ؟
 رُبَّمَا كُنْتَ تَعْرِفُ
 أُغْنِيَاتِ الرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ
 إِنَّهُ غِنَاءُ الشَّبَابِ الْجَدِيدِ
 إِنِّي أَصْغِي إِلَيْهِ ، وَأُحِسُّهُ
 وَالتِّيَّارِ الْجَبَلِيِّ الرَّقْرَاقِ أَخَذَ يَتَعَاطَمُ
 وَيَتَرَدَّدُ فِي رَعْدِ الرِّيَّاحِ الْمَوْسِمِيَّةِ

عِنْدُ بُرُوعِ الْفَجْرِ الْبَاكِرِ
 أَرَى الضُّفَّافَ قَدْ سُحِبَتْ بَعِيداً
 وَبِالْوَعَةِ الثِّيَارِ الْجَارِفِ
 قَدْ هَزَّتِ الصَّخْرَ الصَّامِدَ
 وَفِي دَمِي ، كَانَ عَزْفُكَ وَأَنْغَامُكَ
 يَحْمِلَانِ إِلَيَّ نِدَاءَ الْعَاصِفَةِ
 الْإِمْتَلَاءِ ، النَّارِ ، الْحَرِيقِ
 نِدَاءَ الْمُحِيطِ الَّذِي يَهْزَأُ بِالْمَوْتِ
 النَّدَاءِ الَّذِي يَهْزُ سِلَاسِلَ الرِّيحِ الْوَحْشِيَّةِ
 فِي الْخُلُجَانِ الضِّيْقَةِ لِلْأَكَامِلِ
 وَالسُّلْبِ الْمُنْدَفِعِ لِلثِّيَارِ الرَّحْبِ
 يَصِيلُ ، فَيُغَطِّي كُلَّ شَيْءٍ وَيَجْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ -
 إِنْ حِمْلَ زَوَابِعِ الرَّبِيعِ مَشْحُونٌ بِالْمَطَرِ
 وَمِثْلُ غَضَبِ الْغَابَةِ
 يَدُومُ حَوْلَ الْجَسَدِ .

يَا إِلَهِي ، أَنْتَ لَمْ تُعْطِنِي أَجْنِحَةَ ،
 أَغْنِيَاتِكَ فَقَطْ هِيَ الَّتِي لَمَسْتَ أَحْلَامِي
 مَعَ جُنُونِ زَوَابِعِ الْأَمْطَارِ .
 وَفِي الْبَيْتِ كُنْتُ أَعْمَلُ بِهَدُوءٍ
 وَالْجَمِيعُ يَقُولُونَ عَنِ عَمَلِي إِنَّهُ (طَيِّبٌ)
 وَلَكِنَّهُمْ يَجِدُونَنِي خَالِيَةً مِنَ الرَّغْبَةِ فِيمَا أَعْمَلُ
 وَلَا شَهْوَةَ عَارِمَةً
 وَبِضْرَبَةٍ خَفِيفَةٍ مِنَ الرِّيحِ
 وَجَدْتُ نَفْسِي فَوْقَ الْأَرْضِ
 لَسْتُ جَرِيئَةً بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ
 حَتَّى أَدْفَعَ الْحَرَسَ الَّذِي يُدَافِعُ عَنِّي
 وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَحِبُّ بِجِدَّةٍ
 وَلَكِنِّي أَعْرِفُ فَقَطُ كَيْفَ أَبْكِي
 يَا عَازِفَ النَّايِ
 حِينَ أَصْغِي لِأَنْعَامِكَ

يَبْلُغُنِي نِدَاءُ عَالَمِ الْخَالِدِينَ
هُنَاكَ أَرْفَعُ جَبِينِي فِي الْمَجْدِ
هُنَاكَ ، حَيَاتِي تُصْبِحُ شَبِيهَةً
بِشَّمْسٍ شَابَّةٍ
لَمْ تَحْجُبْهَا
هُنَاكَ حَمَاسِي الَّذِي لَا يُقِيمُ اعْتِبَاراً
لِلْمَحْظُورَاتِ
يَفْتَحُ أَجْنِحَةَ نِيرَانِيَّةٍ
وَمِثْلَ عَصْفُورِ الرَّبِّ الْجَائِعِ
يَطِيرُ نَحْوَ الْفَرَاغِ الْمَجْهُولِ
وَيَسْتَيْقِظُ فِي ذَاتِي الْمُتَمَرِّدِ
وَبِنَظَرَةٍ مُحْتَقِرَةٍ
يُدِينُ جِبْنَ الْجُمُوعِ حَوْلِي
يَا عَارِزُ النَّايِ
رُبَّمَا كُنْتَ تَرَعَبُ أَنْ تَرَاني

فَلَا أُدْرِي الزَّمَانَ الْمُنَاسِبِ
أَوِ الْمَكَانَ الْمُنَاسِبِ لِلِقَائِنَا
وَلَا كَيْفَ أَتَعَرَّفُ عَلَيْكَ
فِي اللَّيْلَةِ الْوَحِيدَةِ الْمُمَطَّرَةِ
جَاءَتْ كَالظِّلِّ
لِلِّقَاءِ بِكَ .

حِينَ سَمِعْتَ نِدَاءَكَ
تِلْكَ الصَّبِيَّةُ الْعَذْبَةُ الرَّقِيقَةُ
خَرَجَتْ مِنَ الزَّاوِيَةِ الْمُظْلِمَةِ
امْرَأَةً سَافِرَةً
إِنهَا كَالْبَيْتِ الشُّعْرِيِّ الْأَوَّلِ
الَّذِي انْسَكَبَ فَجَاءَهُ فِي قَلْبِ (يَا لِمَيْكَلِي)
وَسَحَرَتْكَ

وَلَكِنَّهَا لَنْ تَنْزِلَ مِنْ عَرْشِ الْغِنَاءِ
وَجَالِسًا فِي ظِلَالِ الْأَنْغَامِ

تَكْتُبُ كَلِمَاتِكَ
لَنْ تَعْرِفَ أَيْنَ تَعِيشُ
يَا عَازِفَ النَّايِ .
دَعَهَا تَظَلُّ بِعِيدَةٍ
عَنْ أَنْغَامِ نَائِكَ .

* * *

جاراتي

آه يا جَارَاتِي
لَقَدْ رَأَيْتُ صُورَتَكَ فِي قَلْبِي
عِنْدَ نِهَايَةِ اللَّيْلِ
وَاللَّهَيْبُ الْهَادِيءُ لِلْمُصْبَاحِ
كَانَ يُضِيءُ حَاجِبِيكَ وَشَفَتِيكَ
وَشَعْرَكَ الْأَبْيَضَ .
وَالنُّورُ الْهَادِيءُ لِنَجْمَةِ الصُّبْحِ
كَانَ يَقَعُ عَلَى عَيْنِيكَ الْهَادِيَّتَيْنِ
كَمَا تَقَعُ الْبَرَكَةُ الْإِلَهِيَّةُ .
وَفِي الْغُرُوبِ
كَانَ عِطْرُ الدَّفْلَةِ الْوَاهِنِ .
قَدْ جَعَلَ الْهَوَاءَ حَزِينًا مَكْرُوبًا

خَافِتًا كَمَا تَخَفْتُ آخِرَ الْحَانَ (فينا)

عِنْدَ نِهَآيَةِ الْاِحْتِفَالِ .

وَالْهَوَاءُ الرُّطْبُ الَّذِي بَلَّهَ النَّدى يَتَحَرَّكُ

بِهْدُوءٍ .

وَأَعْصَانُ أَشْجَارِ الْأَسْتِ سَاكِنَةٌ .

وَذَلِكَ الْمَجْرَى النَّحِيفُ، الصَّافِي

لِلنَّهْرِ

يَتَدَفَّقُ فِي صَمْتٍ نَحْوَ الْبَيْتِ الْمَهْجُورِ

مِثْلَ الْخُطُوَاتِ الْمُتَعَبَةِ لِلْعَشِيقَةِ

الْمُنْسِيَةِ .

آه يَا جَارَاتِي ذَاتِ الشَّعْرِ النَّاصِعِ

لَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي السَّمَاءِ الْخَرِيفِيَّةِ لِلْحَيَاةِ

وَفِي الْغُيُومِ الصَّافِيَةِ النَّقِيَّةِ

الْخَالِيَةِ مِنْ الْمَطْرِ .

وَهُنَا، تَحْتَ، تَمْتَدُّ الْحُقُولُ مَلِيئَةً

بِالْقَمَحِ .
وَالنَّهْرُ فَائِضٌ حَتَّى الحَوَافِي .
فِي هُدُوءِ الكَمَالِ
فَإِنَّ الأَرْضَ تَعْدُو عَمِيقَةً فِي جَمَالِهَا
يَا جَارَاتِي .
لَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي آخِرِ ضِيفِ الوُجُودِ
حِينَ كَانَ ضَجِيجُ الزَّمَنِ غَارِقًا
فِي الأَعْمَاقِ السَّحِيقَةِ .
وَفِي اللَّيْلِ
وَبَعْدَ حَمَامِكَ كَحَاجَّةٍ إِلَى البَحْرِ الهَادِيءِ
تَنَحَّيْنِ بِضَفِيرَتِكَ الطَّلِيقَةِ
أَمَامَ الهَيْكَلِ .
وَتَعْبُدِينَ الخَاتِمَةَ الكَامِلَةَ
لِلقَلْبِ الخَالِي مِنْ الرَّاحَةِ .
حَيْثُ تُقِيمُ السَّلْمُ الخَالِدَةَ

وَتَنْسَكِبُ عَلَى رَأْسِكَ النَّيْلِ

نِعْمَةٌ سَامِيَةٌ

تُشْبِهُ آخِرَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ

* * *

امراة

الرَّحِيقُ وَالْفَرَحُ تَشْكَلَا فِي الْمَرَاةِ
وَأَثَارَا أُمُوجًا مُضْطَرِبَةً
مِنْ أَجْلِ الظَّفْرِ بِالذَّكْرِ الْمُعْتَزِّ بِعُزْلَتِهِ
وَوَخَلْفَ سِرِّ (تَابَاسِيَا) الْإِلَهِي
بَحَثَ النَّحَاتُ فِي فِكْرِهِ عَنِ الشُّكْلِ الْأُولِي
وَحَاوَلَ أَنْ يَسْجِنُ فِي إِبْدَاعِهِ
هَذَا الْجَمَالَ الْفَانِي
وَلَكِنَّهُ هَزِمَ بِسَبَبِ الْعِفَّةِ وَالْخَوْفِ
وَتَعَالِيمِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ
وَجَعَلَ الْعُرِيَّ شَيْئًا صَافِيًا نَقِيًّا
بَعِيدًا عَنِ دَائِرَةِ اللَّذَّةِ الْحِسِيَّةِ
الْأَلَمِ اللَّانِهَائِي فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ

وَفِي تَوَقُّهِ إِلَى الرَّحِيقِ الْقُدْسِيِّ فِي النَّبِيذِ الْأَرْضِيِّ
بَدَّدَ آثَارَهُ

فِي الْغِنَاءِ، فِي الرَّسْمِ، فِي الصَّخْرِ
وَعَهْدًا بَعْدَ عَهْدٍ
وَبُقْعَةً بَعْدَ بُقْعَةٍ
سَالِمَةً مِنَ الذُّبُولِ
سَلِيمَةً مِنَ الضَّعْفِ
لُوحِظَ جَمَالُهَا
فِي حُلْمِ الْفَنَانِ .

وَفِكْرُ الْإِنْسَانِ، الْمَطْرُودِ مِنَ السَّمَاءِ
جَذَبَ إِلَى نَفْسِهِ رَوْعَةَ الْكَوْنِ

وَحَقَّقَ الْوَحْدَةَ بَيْنَ الْمُتَشَكِّلِ وَاللَّامُتَشَكِّلِ
تَحِيَّتِكَ كَالْجَوْهَرَةِ الَّتِي تُزَيِّنُهُ
حِينَ يَضُمُّكَ

إِنَّ النُّورَ الصَّافِيَ الطَّاهِرَ الَّذِي تَرَاهُ بِهِ
عَيْنَاكَ الْمُسْتَضِيئَتَانِ بِالْعِبَادَةِ لَهُ
قَدْ رَشَّ وَجُودَهُ كُلَّهُ
وَوَسَمَ جَبِينَهُ بِسِمَةِ الْعَظْمَةِ .
أَنْ تَكُونِي إِلَهَةً ، أَوْ مُجَرَّدَ امْرَأَةٍ
فَإِنَّ الْأَشِعَّةَ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْ قَلْبِكَ
قَدْ طَوَّقَتْهُ بِنُورِ قُدْسِي
لَقَدْ وَجَدَ وَجْهَهُ الْحَقِيقِيَّ فِيكَ
صَوْتِ النَّصْرِ .
وَحُبِّكَ قَدْ وُلِدَ فِيهِ
النُّعْمَةُ الْمُسْتَعِدَّةُ فِي وَجُودِهِ
وَالرَّحِيقُ الَّذِي يَحْتَسِي
يَنْسَكِبُ مِنْ قَلْبِكَ الْمُفْعَمِ
تَمَامًا ، مِثْلَ الْهَالَةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي تُحِيطُ بِالشَّمْسِ
عِنْدَ أَوَّلِ بُزُوعِهَا

وَهَكَذَا فَإِنْ وَحِيَ اللَّهُ يُتَوَجُّرُ رَأْسُكَ
وَحِينَ يَلْمَسُ الْأَرْضَ يَنْحَنِي فِي إِجْلَالٍ

* * *

العام المنصرم

الرَّحْلَةَ تَنْتَهِي
وِظِلَالُ الْمَوْتِ تَتَكَاثِفُ
عِنْدَ نِهَائَةِ الطَّرِيقِ الْغَرْبِيِّ .
وَالشَّمْسُ الْغَارِبَةُ
تَجُودُ عِنْدَ رَحِيلِهَا
بِكُنُوزِهَا ، وَتُبَدِّدُهَا بِكِلْتَا يَدَيْهَا .
وَفِي إِفَاضَةِ الْأَلْوَانِ
أَرَى
أَفْقَ الْمَوْتِ الْمُضِيِّ
وَعَظْمَةَ الْحَيَاةِ .
وَتَتَوَقَّفُ أَنْفَاسِي
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنِّي

(مَا أَكْثَرَ مَا أُحِبُّتُ)

إِنَّ السِّرَّ الْأَبْدِيَّ الَّذِي يُفَعِّمُ ضِيفَاةً
قَدْ حَقَّقَ وَحْدَةً حَمِيمَةً، بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ.

وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارُ قَدْ مَلَأَا بِالرَّحِيقِ

كَأْسِ الْمَيِّ .

لَقَدْ رَحَلْتُ وَحِيداً

فِي الدَّرْبِ الْقَاسِي حَاجِئاً نَحْوَ الْأَلَمِ .

تَلْفَحُنِي شَمْسُ إِبْرَيْلِ اللَّاهِبَةِ .

مَا أَكْثَرَ الْأَيَّامَ

الَّتِي بَقِيتَ فِيهَا بِلا رِفَاقِ!

مَا أَكْثَرَ اللَّيَالِي

بِلا مِصْبَاحِ!

وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي أَعْمَاقِ قَلْبِي

شَعَرْتُ بِلمَسِّكَ .

وَإِكْلِيلِ شَوْكِ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ

مِئَةَ مَرَّةٍ جَرَحَنِي .
 وَلَكِنِّي تَقَبَّلْتُهُ كَمَا لَوْ كَانَ إِكْلِيلَ الزَّفَافِ
 مُتَمَلِّئًا بِعَيْنَيْنِ مُصَوَّبَتَيْنِ
 الْوَجْهَ الْمُضِيءَ لِلْأَرْضِ .
 فَغَمَّرْتَنِي لِأَكْشِيمِي الَّتِي تُقِيمُ
 بَيْنَ آفَافِ أَزْهَارِ اللُّوتَسِ
 بِسَخَاءٍ لَا حَدَّ لَهُ
 أَصَابْتَنِي رُوحًا وَجَسَدًا .
 فَاسْرَتْ فِي نَائِي
 زَفْرَةَ الدَّمُوعِ وَابْتِسَامَاتِ الكَوْنِ .
 أُولَئِكَ الَّذِينَ تَجَسَّدُوا (كَبَشَرِ)
 وَجَهَرُوا (بِالْكَلِمَةِ) الْمُقَدَّسَةِ الْمُضْمَرَّةِ
 الَّتِي يَتَعَذَّرُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا
 هُمْ أَشْبَاهِي وَأَمْثَالِي .
 مَا أَكْثَرَ المَرَاتِ الَّتِي وَجَدْتَنِي فِيهَا مَهْزُومًا

فِي الْخَوْفِ وَفِي الْخِزْيِ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَبِي صَوْتِي كَانَ يُدَوِّي

النَّصْرُ اللَّامِحْدُودُ .

وَرَعْمَ مَا قَدْ يُصِيبُ عِبَادَتِي مِنْ نَقْصِ

فَمِنْ حِينٍ إِلَى آخِرٍ كَانَ قَلْبِي

الْبَاكِي

يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّجْنِ عَلَى مَصَارِيعِهَا .

فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ تَلَقَّيْتُ

حَقَّ الْمِيلَادِ كَأِنْسَانٍ .

وَذَلِكَ هُوَ حَظِّي الطَّيِّبُ .

وَالرُّحِيقُ الْمُقَدَّسُ بِالنُّسْبَةِ لِي

كَانَ يَجْرِي عَبْرَ الْعُصُورِ

فِي الْفِكْرِ، فِي الْمَعْرِفَةِ، فِي الْعَمَلِ .

وَالْكَمَالُ

الَّذِي تَتَأَلَّقُ صُورَتُهُ مُشْرِقَةً مُضِيئَةً فِي قَلْبِي

أَعْرِفَ أَنَّهُ سَيَتَوَزَّعَ عَلَى الْجَمِيعِ .
جَالِسًا جَلْسَةً تَأْمِلِيَّةً
فَوْقَ الْبِسَاطِ التَّرَابِيِّ
رَأَيْتُ (الْوُجُودَ الْأَسْمَى)
مَرَشُوشًا بِالنُّورِ الَّذِي يَتَأَلَّقُ فَوْقَ كُلِّ الْأَنْوَارِ .
إِنَّهُ أَصْغَرَ مِنْ أَصْغَرِ حَبَّةٍ .
وَأَكْبَرُ مِنْ أَيِّ عَظْمَةٍ .
إِنَّهُ هُوَ
لَقَدْ وَجَدْتُهُ فِيمَا وَرَاءَ إِمْكَانِيَّاتِ الْحِسِّ
وَنَقَذَ فِي حِجَابِ جَسَدِي .
وَرَأَيْتُ فِي وَمَضَاتٍ مُفَاجِئَةٍ
اللَّهَبَ الَّذِي لَا يَخْمَدُ .
وَفِي كُلِّ مَكَانٍ
قَدَّمَ فِيهِ رَجُلُ اللَّهِ
قُرْبَانًا

كَانَ لِي نَصِيبٌ مِنْ بَرَكَتِهِ .
وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُحَرَّرُ فِيهَا الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ
مِنْ أَذْغَالِ الْوَهْمِ
أَتَعَرَّفَ فِيهِ عَلَى نَفْسِي .
وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُسَيِّطِرُ فِيهَا الْبَطْلُ
بِأَخَوْفٍ ، عَلَى الْمَوْتِ
يَكُونُ لِي فِي تَارِيخِهِ مَكَانٌ .
وَأَمَامَهُ هُوَ
الَّذِي يَسْمُو عَلَى كُلِّ سُمُوٍ
أُنْحَنِي
رَغْمَ أَنِّي أَنْسَى كَثِيرًا أَنْ أَتَغْنَى بِاسْمِهِ .
إِنَّ بَرَكَتَ السَّمَاوَاتِ الصَّامِتَةِ
وَنَشْوَةَ الْفَجْرِ الْوَلِيدِ
قَدْ أَصَابَتَا قَلْبِي .
وَفِي هَذَا الْعَالَمِ الْمَلِيءِ بِالْفِتْنَةِ

وَفِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْعَامِرَةِ بِالْعَظْمَةِ
 فَإِنَّ الْمَوْتَ يَحْمِلُ إِلَيَّ تَمَامِي .
 الْيَوْمَ ، آخِرَ أَيَّامِ الْعَامِ .
 وَحِينَ تَحِينُ سَاعَةَ الْوَدَاعِ
 أَيُّهَا الْمَوْتُ ، أَرْحُ حِجَابَكَ .
 مَا أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي رَحَلَتْ
 إِنِّي أَعْرِفُ ، إِنِّي أَعْرِفُ .
 كَثِيرٌ مِنَ الْعَطْفِ ، كَثِيرٌ مِنَ الْحُبِّ .
 وَقَدْ انْطَفَأَ الْمَصْبَاحُ
 دُونَ أَنْ يُخَلَّفَ ذِكْرِي .
 إِنْ يَدُكَ أَيُّهَا الْمَوْتُ لِمُفْعَمَةٍ
 بِاللَّحْظَةِ الَّتِي هِيَ أَبَدِيَّةٌ .
 وَيَدُكَ أَنْتِ أَيُّهَا النَّهَايَةُ
 لِعَامِرَةٍ بِالكَنْزِ الَّذِي هُوَ خَالِدٌ .

حياة

لا أريدُ أن أموتَ في هذا العالمِ الجميلِ
ولكنني أريدُ أن أحيَا في قلبِ الإنسانِ
وأن أجدَ في الغابةِ المزهرةِ
الشمسَ محراباً
إن لُعبةَ الحياةِ تتصاعدُ كالأمواجِ
بدموعِها وابتسامتها
ولقائِها وفراقِها
وهي تُوحِدُ معاً
آلامَ وأفراحِ الإنسانِ
أريدُ أن أبنِي فوقَ هذه الأرضِ
بيتي الخالدِ
وأن أحملَ أغنياتِ كالزهورِ الموشِكةِ

عَلَى التَّفْتِيحِ
لِكِي أَجْمَعَهَا لَكَ
وَأَحْمِلَ الْفَجْرَ وَالغُرُوبَ
فَخُذِيهَا ضَاحِكَةً
وَحِينَ تَذُبُّ
انثُرِيهَا بَعِيداً



أنا (١)

فِي ضَمِيرِي

تَأَلَّقْتُ زُمْرَدَةً خَضِرَاءُ سَاطِعَةً

وَيَاقُوتَةً حَمْرَاءُ

وَفَتَّحْتُ عَيْنِي نَحْوَ السَّمَاءِ

فَرَأَيْتُ نُورًا يَتَّصِعِدُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

فَالْتَفَتُّ إِلَى اللَّوْنِ الْوَرْدِيِّ

وَقُلْتُ (جَمِيلٌ)

وَلَقَدْ كَانَ حَقًّا جَمِيلًا

سَتَقُولُ

(إِنَّهَا الْفَلْسَفَةُ وَلَيْسَتْ صَوْتُ الشَّاعِرِ)

فَأَجِيبُ

(إِنَّهَا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ إِذْنَ الشُّعْرِ)

هَذَا هُوَ فَخْرِي تَجَاهُ كُلِّ الْبَشَرِ .

عَلَى نَسِيجِ فَخْرِ الْإِنْسَانِ

يَظْهَرُ الْفَنُّ الْعَظِيمُ الَّذِي يُبْدِعُهُ الْفَنَّانُ

وَيُغْمِغِمُ الْحَكِيمُ وَهُوَ يُغْنِي بِمَسَبِّحَتِهِ

لا .. لا .. لا ..

لَا زُمْرَدٌ ، وَلَا يَاقُوتٌ ، وَلَا نُورٌ ، وَلَا وَرْدَةٌ

وَلَا أَنْتَ .. وَلَا أَنَا

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، ذَلِكَ الَّذِي هُوَ لَانِهَائِيَّ

قَدْ تَأَمَّلَ مِنْ دَاخِلِ حُدُودِ الْإِنْسَانِ

إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُسَمَّى (الْأَنَا)

وَفِي كَهْفِ هَذَا (الْأَنَا) اتَّحَدَّثَ الظُّلْمَةُ

وَالنُّورُ

وَبَدَأَ شَكْلًا . فَاسْتَيْقَظَ (رَازَا)

وَعِنْدَيْدٍ ، لَا أُدْرِي مَتَى ، وَبِدَهْشَةٍ (مَآيَا)

ازْدَهَرَتِ (اللا) الَّتِي فِي الْخُطُوطِ

والألوانِ

وفي الفرحِ والألمِ

في (نعم)

لأُتسمَّ ذلكَ فلسفةً

في مصنعِ (الأنا) الكونيِّ.

وبالرُّيشةِ في اليدِ، والألوانِ فوقَ المرسمِ

وجَدتُ الفرحَ

فقالَ المثقفُ

إن القمرَ القديمِ بِابْتِسَامَةٍ خَبِيْثَةٍ مَا كِرَةٌ

وَكَرْسُولٍ لِلْمَوْتِ، سَيَّجِهْ لِلاَحْتِكَاكَ

بِالأَرْضِ

وَفِي يَوْمٍ مِنْ الأَيَّامِ سَتَشْعُرُ البِحَارُ

وَالجِبَالُ، بِجَاذِبِيَّتِهِ العِمْلَاقَةِ الأَخِيرَةِ

وَعلى الأَرْضِ، وَفِي الكِتَابِ الكَبِيرِ لِلزَّمَنِ

سَتُمَلَأُ الصَّفْحَةُ الجَدِيدَةُ بِرَقْمِ صِفْرِ

كَبِيرٌ

يَبْتَلِعُ الرُّبْعَ وَالخَسَارَةَ .

وَأَعْمَالُ الْإِنْسَانِ تَفْقِدُ كُلَّ حُجَّةٍ لِلخُلُودِ

وَخَبِيرٌ نَيْلَةٌ لَا حَدَّ لَهَا سَيَمْحُو التَّارِيخَ

وَعَيْنَا الْإِنْسَانَ وَهُوَ يَحْتَضِرُ

سَتْلَغِيَانِ الْوَانَ الْكُونَ .

وَعَقْلُ الْإِنْسَانَ وَهُوَ يَحْتَضِرُ

سَيُجْفَفُ (الرَّازَا)

وَضِلَالُ الْعُنْفِ سَتَهْزُ السَّمَاوَاتِ

وَلَنْ يَتَأَلَّقَ بَعْدَهَا أَيُّ نُورٍ

وَتَرْغَبُ الْأَنَامِلُ فِي الْعَرْفِ

وَلَكِنْ لَنْ تَتَوَلَّدَ الْأَنْغَامُ

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَتَجَرَّدُ فِيهِ

الْخَالِقُ مِنَ الشَّاعِرِيَّةِ

سَيَجْلِسُ غَارِقًا فِي التَّفْكِيرِ

وحيداً في السماءِ
دون زُرقةِ الوجودِ اللأشخصي
في هذا الكونِ اللأمحدود
وعالمِ بَعْدَ عالمِ
لنَ يَكُونُ هُنَاكَ مَكَانٌ يُرَدُّ صَدَى
هَذِهِ الْكَلِمَاتِ
أَنْتِ جَمِيلٌ
أَنَا أُحِبُّكَ؟
وَعَرِقَ الصَّانِعُ مِنْ جَدِيدٍ فِي تَأْمُلٍ لَّا حَدَّ لَهُ
فَارْكَأ حَبَّاتِ مِسْبَحَتِهِ ، وَهُوَ يُغْمَغِمُ
بِهَذَا الدُّعَاءِ
تَكَلَّمْ آه ، تَكَلَّمْ
قَلْ . . . أَنْتِ جَمِيلٌ
قُلْ . . . إِنِّي أُحِبُّكَ؟

* * *

أنا (٢)

أَتَسَاءَلَ إِذَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ
فِي حَدِيثِهِ صَوْتِي
وَفِي حَرَكَتِهِ وَجُودِي
وَمَهَارَتُهُ فِي مَلَامِحِي
وَالْحَانَةِ فِي أَغَانِي
فِي الْفَرَحِ وَالْحُزَنِ
أَفَكَّرَ أَنَّهُ مَغْلُولٌ فِي دَاخِلِي
مَشْدُودٌ بِالذُّمُوعِ وَالضَّحَكَاتِ
بِالْعَمَلِ وَاللَّعَبِ
وَأَفَكَّرَ أَنَّهُ ذَاتِي الْحَقِيقِيَّةِ
الَّتِي سَتَبْلُغُ النَّهَائَةَ بِمَوْتِي
فَلِمَاذَا إِذْنُ أَشْعُرُ بِهِ

في تيارٍ من الفرحِ
عند رؤيَةٍ ومُلامسةٍ محبوبتي؟
إني أجدُ هذا (الأنا) أبعدَ من ذاتهِ
في ضيفِ البحرِ الوضاءِ
إذن فأنا أعرفُ
أن هذا (الأنا) ليسَ مأسوراً
داخلَ حدوديِ
إني أجدُه حين أُضيقُ نفسي
أبعدَ من حدودِ الزمنِ والمكانِ
عبرَ الأحقابِ
وصلتُ إليّ معرفةٌ (أنا) اللامعةُ
في حياةِ الباحثِ
وفي صوتِ الشاعرِ
ومن الغيومِ القاتمةِ تهبطُ الأمطارُ
إني أجلسُ وأفكرُ

حَامِلًا أَشْكَالًا عَدِيدَةً وَأَسْمَاءَ عَدِيدَةً
أَصِيلٌ مُجْتَازًا كَنْزَ الْعَدِيدِ مِنْ
الْمَوَالِيدِ وَالْمَوْتَى
إِلَى الْأَسْمَى الْمُوَحَّدِ، الْكَامِلِ فِي ذَاتِهِ
مُعَانِقًا الْمَاضِي وَالْحَاضِرَ
السَّاكِنَ فِي الْإِنْسَانِ
وَفِي دَاخِلِهِ أَجْدَ نَفْسِي
« الْأَنَا » الَّتِي تَبْلُغُ كُلَّ مَكَانٍ

* * *

لوحة

لَقَدْ رَسَمْتُكَ بِرِيشِي
مَلْمَحًا بَعْدَ آخِرِ
وَمِنْ أَعْمَاقِ اللَّأَصْوَتِي
قَدْ قَدَمْتُكَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ
الَّذِي يَتَّقَسَمُهُ الْمَدْحُ وَالْهَجَاءُ
وَسَبَبَ هَذَا التَّطَاوُلِ الَّذِي أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ .
سَأَلُونِي :

هَلْ تَحْمِلُ فِي نَفْسِكَ خَيْبَةً ضِدَّ خَالِقِكَ؟
وَطَوَالَ الْوَقْتِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ غَيْرَ ظَاهِرِ
كَانَتْ أَشْكَالُ الْعَالَمِ الْعَدِيدَةُ تَرْقُصُ
فِي صَخَبٍ، عَلَى إِيقَاعِ الْخَلْقِ وَالتَّدْمِيرِ
وَكُنْتُ تَنْتَظِرُ فِي الْفَرَاغِ ، فَأَنَا

لِيُصْغِي إِلَى نَحِيْبِكَ الصَّامِتِ
وَلِيُْمْسِكَ بِكَ
فِي حُدُودِ النُّورِ وَالظَّلِّ
وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ .
كُنْتُ أَعْبُرُ الطَّرِيقَ
حِينَ نَفَذَ نَدَاؤُكَ فِي الْفَضَاءِ الْخَالِيِ
لِللَّأَوْجُودِ
وَبِصْمَتٍ لَمَسْتَ جَيْبِي
كَحُلْمِ ضَبَّابِي
وَمِنْ بَحْرِ اللَّاشْكَلِ
حَمَلْتُكَ إِلَى عَالَمِ الْخُطُوطِ
أَهَذَا الْعَنَاءُ الَّذِي
فِي قَلْبِ الشُّكْلِ ؟
وَلِعَيْبِ فِي الْجَمَالِ
يَنْبَغِي أَنْ يَظَلَّ عَمَلِي مُضْطَرِبًا

دون أن يُشرفُ ويكرّمَ بالقدر الكافي
حقيقة الوجود؟
فليكنْ

إن خطأ في الشكل
لن يظل قائماً إلى الأبد
ولكنه سوف يخبو بسبب ثقله
وستكون من جديد حراً
ظاهراً من بحر اللاشكَلِ
الذي لا يمكن التعبير عنه

إِدَانَةٌ

لَا تُدِنُ أَحَدًا

إِن الْمَكَانَ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ

لَيْسَ سِوَى زَاوِيَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ

مَهْمَا بَلَغَتْ عَيْنَاكَ مِنَ النَّظَرِ الْبَعِيدِ

فَهُمَا لَا تُحِيطَانِ إِلَّا بِالْقَلِيلِ

وإِلَى الْقَلِيلِ الَّذِي تُصْغِي إِلَيْهِ

أَضِيفُ صَوْتُكَ

وَإِنَّكَ لَتَحْفَظُ جَانِبًا وَبِعِنَايَةٍ دَقِيقَةٍ

الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالْأَسْوَدَ وَالْأَبْيَضَ

وَلَكِنْ عَبَثًا تَرْسُمُ خَطًّا

لِكَيْ تُشِيرَ إِلَى الْحُدُودِ

إِذَا كَانَ هُنَاكَ نَعْمٌ خَفِيٌّ فِي نَفْسِكَ

أَيَقِظُهُ بِمُجَرَّدِ عُبُورِكَ الطَّرِيقِ
فَلَيْسَ فِي الْغِنَاءِ خِصَامٌ
وَلَا دَعْوَةٌ إِلَى الْعَمَلِ
مَنْ كَانَ رَاغِبًا فِيهِ تَجَاوَبَ مَعَهُ
وَمَنْ لَمْ يَرْغَبْ فِيهِ فَإِنَّهُ يُعَدِّي عَنْهُ
مَا يَهُمُّ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ النَّاسِ أَخْيَارًا
وَبَعْضُهُمْ أَشْرَارًا؟
إِنَّهُمْ جَمِيعًا مُسَافِرُونَ عَلَى الطَّرِيقِ نَفْسِيهَا
لَا تُدِينُ
أَوَاهِ إِنَّ الزَّمَانَ لَيَطِيرُ
وَالجِدَالَ عَبَثٌ
فَانظُرْ إِلَى الزُّهُورِ الَّتِي تَتَفَتَّحُ عِنْدَ حَوَافِي الْغَابِ
إِنَّهَا تَحْمِلُ رِسَالَةً مِنَ السَّمَاءِ
لِأَنَّ السَّمَاءَ صَدِيقَةُ الْأَرْضِ
وَفِي أَمْطَارِ يُولِيُو

يُغَطِّي العُشْبُ الأَرْضَ بِالحُضْرَةِ
وَتَمَلَأُ كَأْسَهَا حَتَّى الحَافَةِ
نَاسِيَةً إِيَّاكَ
فَلْتَمَلَأْ قَلْبَكَ بِالبَهْجَةِ السَّادِجَةِ
أَيْهَا المُسَافِرُ
وَانْثُرْ بِحُرِّيَّةٍ، وَعَلَى طُولِ الطَّرِيقِ ،
الكَنْزَ الَّذِي تَجْمَعُهُ وَأَنْتِ تُوَاصِلُ المَسِيرَ

المجهول

في ميدان السوق التي تعجُّ بالناس
أرى آلاف الوجوه
آلاف القصص ، تأتي وتذهب
في ضوء النهار
وفي ظلال الليل
وعبر كل الأزمان المقبلة
وما من أحد يستطيع أن يعرف
قصتهم الكاملة
وفي أعماق مناقشاتهم العالية
فإن ترثرتهم التي لا تهدأ
تتناول عمل الخلق الرحيب المتنوع
نصف منسي ، ونصف مذكور

لَا يُسْمَعُ صَوْتٌ، وَلَا يُشَاهَدُ نُورٌ
وَمِنْ مَاضٍ سَحِيقٍ قِصِيٍّ، هَذِهِ الْأَصْوَاتُ
الْخَفِيَّةُ

هَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي لَمْ تُسْمَعْ مِنْ قَبْلِ عِدِيدٍ مِنَ الْبَشَرِ
تَتَدَفَّقُ كَالْمُجْرَى الْأَرْضِيِّ
إِلَى مُحِيطِ الْمَوْتِ
مَا الَّذِي حَدَثَ لَهَا؟
مَا هُوَ الْهَدَفُ؟
أَيُّهَا الْمَحْبُوبُ؟

فِي سَمَاعِي لَكَ، وَرُؤْيَايَ وَلَمْسِي لَكَ
فِي الْقَلِيلِ الَّذِي أَعْرِفُهُ لَا يُمَثِّلُ شَيْئًا
إِذَا مَا قُورَنَ بِرَحَابَةِ السِّرِّ
الَّذِي لَمْ يُسْمَعْ وَلَمْ يُرَ
فَالَّذِي انْغَلَقَ عَلَى نَفْسِهِ فِي اطمِئنانٍ وَأَمْنٍ
مَنْ يَنْتَظِرُ؟

وَمِفْتَاحِ تِلْكَ الْغُرْفَةِ إِنْ لَمْ يُكُنْ عِنْدَكَ
فَفِي يَدِ مَنْ يُوجَدُ؟
تَعْرِفُ الْمَجْهُولَ الْأَعْظَمَ
وَالْمَجْهُولَ الْخَفِيَّ فِي قُلُوبِنَا
وَأَيُّ حُبٍّ يَتَجَاوَزُهُ حُبُّكَ
وَالَّذِي يَرْفَعُ كُلُّ غَامِضٍ مِنْهُمْ
حِجَابَهُ
أَمَامَ نَظَرَتِهِ الْخَيْرَةَ

انسجام

لَنْ أَلُومَكَ
كُلُّ الْجِرَاحِ ، وَكُلُّ الْأَخْطَاءِ الَّتِي تَجْرُهَا
عَلَيْنَا حَيَاتُنَا
وَتَجْعَلُ مِنْكَ مِتَّالِمًا
تَأْتِي مِنَ الْقَدْرِ الْقَاسِي
إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّكَ غَيْرُ بَعِيدٍ
فِي السَّمَاءِ الْبَعِيدَةِ
وَلَكِنَّكَ تَسْكُنُ فِيَّ
وَتَحْمِلُ ثِقْلِي لَيْلًا وَنَهَارًا
مُجْتَازًا حَاجِزَنَا الَّذِي لَا يُمَكِّنُ اجْتِيَازَهُ
دَعُ سَبِيلَ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ يَتَدَفَّقُ
وَأَنْ أَتَمَكَّنَ

مِنَ أَنْ أَخْفَفَ بِتَعَبِي هَذَا الْحِمْلَ
وَأَنْ أَحِلَّ الْعُقْدَ الْمُتَشَابِكَةَ لِلْعُبُودِيَّةِ .
أَنْ تَسَانِي وَتَقْطَعَ هَذَا الْعَالَمَ الرَّحِيبَ
بِلَا خِصَامٍ بِلَا إِجْبَارٍ
مَا نِعَا كُلَّ قَلْقٍ
فَسَوْفَ نُؤَلِّفُ مَعًا لِحْنًا
يَرْتَفِعُ حَتَّى السَّمَاءِ

القادم الجديد

جِئْتُ مِنَ الْأَقَاصِي الْبَعِيدَةِ
مِنَ أَعْمَاقِ سِيُولِ الزَّمَنِ
وَحِينَ بَلَغْتُ ضِيْفَانَ عَصْرِكُمْ
لَمْ يَكُنْ لِي رِفَاقٌ
لَأَنَّهُمْ رَسَوْا فِي مَرَايِي أُخْرَى .
الْأَفْرَاحُ الْقَلِيلَةُ الَّتِي عَرَفْتُهَا ،
وَعَطَايَا قَلْبِي
وَزَعْتُهَا كُلَّهَا
وَأَنَا أَهْبِطُ عَلَى طُورِ السَّيْلِ
فِي عَصْرِي
وَحِينَ وَضَعْتُ قَدَمِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
أَخَذْتُ مَطَالِبِي تَزْدَادُ

خُطْوَةٌ خُطْوَةٌ
عَبْرَ الْعَمَلِ وَالتَّفْكِيرِ،
اللُّغَةِ وَالْحَرَكَةِ،
الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ لِلْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ
فِي الْإِبْتِسَامِ وَاللَّعِبِ .
أَيُّ أَنْ أُسْتَمِرَّ بِطَرِيقَةٍ مَا فِي الْحُضُورِ الْعَادِيِّ،
وَأَنْ أَمْلَأُ بِطَرِيقَةٍ مَا مَشَهَدَ الْحَيَاةِ،
كَأَنَّ هَذَا يَكْفِينِي .
وَالْيَوْمَ فِي عَصْرِكُمْ هَذَا أَجِدُ نَفْسِي غَرِيباً
وَلُغْتُنَا تَجِدُ لَهَا مَعْنَى جَدِيداً
عَلَى شِفَاهِكُمْ .
وَالْفُصُولُ تَغَيَّرَتْ
حَتَّى الرِّيحُ اضْطَرَبَتْ وَارْتَبَكَتْ .
تَطْفَحُ بَعْضُ الْخِلَافَاتِ الْبَسِيطَةِ
وَتَصْطَلِمُ بِالضَّحِكِ .

المَشَاعِرُ، الأَمَالُ، الرُّغْبَاتُ
 التي تُعْطِي طَعْمًا لِلْحَيَاةِ
 كُلُّهَا تَغَيَّرَتْ .
 إن الصَّدَاقَةَ التي وَهَبْتُهَا فِي عَصْرِي
 رَغَمَ ضَالِّهِ قِيمَتِهَا
 مَا تَزَالُ تَرْبِطُ الْإِنْسَانَ بِالْإِنْسَانِ
 وَتُتْرَكُ طَائِعَهَا عَلَى الْعَصْرِ .
 صَدَاقَتِي هَذِهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحْسَبَ
 بِمَقَائِسِ عَصْرِكُمْ
 إن الزُّهُورَ التي تُزَيِّنُ مَوَائِدَ هَذِهِ الْأَيَّامِ
 لَا تَنَمُو فِي حَدِيقَتِي ،
 وَلَيْسَ فِي وَسْعِي أَنْ أَدْفَعَ أَجْرَ الزَّائِرِ
 الَّتِي أَشْغَلُهَا مِنْ قَصْرِكُمْ الْمُنِيفِ .
 إِذَنْ عَلَيَّ أَنْ أُعْطِيَ الْكَثِيرَ وَبِأَقْصَى جُرْأَةٍ
 وَلَكِنْ هَذِهِ الْهَيْبَةُ لَا تُقَدِّمُ لِإِرْضَاءِ مَطَالِبِ

الحَاضِر

فَإِذَا لَمْ تَكُنْ لِتُؤَافِقَ ذَوْقَكُمُ
فَإِنْ قِيمَتَهَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَّهَ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ
وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنِّي وَبِكُلِّ مَا أَمْلِكُ .
لَا يَنْبَغِي فَقَطُّ أَنْ أَسَدَّدَ دُيُونِي نَحْوَ الْحَاضِرِ
وَلَكِنْ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَاضِرِ مَدِينًا لِي
إِنْ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنَ الرَّبِّحِ وَالْخَسَارَةِ
وَمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَرَحِ الْخَالِصِ أَوْ الْأَلَمِ الْمَوْجِعِ
هُوَ قُدْرَتِي عَلَى أَنْ أَهْبِ كُلَّ شَيْءٍ
دُونَ أَنْ أَزِنَ بِكَفَّتِي مِيزَانَ
الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ .

الجرّة

يَا إِلَهِي ، إِنَّكَ خَلِيقٌ بِالْعِبَادَةِ
يَا سَيِّدَ حَيَاتِي
أَنْتَ تَعْرِفُ أَنْ طَائِفَتِي وَضِيعَةَ
وَرَعْمَ أَنَّكَ طَرَقْتَ جَمِيعَ الْأَبْوَابِ الْأُخْرَى
فَلِمَاذَا جِئْتَ إِلَيَّ بِالذَّاتِ ؟
كُنْتُ أَحْمِلُ جَرَّتِي ، تَحْتَ شَمْسِ الزَّوَالِ
الْأَفْحَةِ

وَكُنْتُ أُسْرِعُ الْخُطَى نَحْوَ بَيْتِي
فِي ذَلِكَ الدَّرَبِ الْمُلتَوِي
وطلبتَ مِنِّي مَاءً :

إِنِّي امْرَأَةٌ مِنْ طَائِفَةٍ وَضِيعَةٍ
كَيْفَ أَجْرُؤُ عَلَى تَلْوِينِكَ ؟

وَسَكَبْتُ الْجِرَّةَ
وَلَمَسْتُ قَدَمَيْكَ بِجَبِينِي
وَقُلْتُ: لَا تَجْعَلْنِي مُذْنِبَةً
وَحِينَئذٍ نَظَرْتَ إِلَيَّ بِاسِمَاءَ قَائِلًا:
أَه، أَنْتِ يَا مَنْ صُنِعْتَ مِنَ الْأَرْضِ
تَمَامًا، مِثْلَ مَا الْكُرَّةُ الْأَرْضِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ
وَمَغْمُورَةٌ بِالْأَخْضَرِ النَّضِيرِ
هَكَذَا أَنْتِ يَتَحَقَّقُ فِيكَ عَرْشُ (لَاكْشَمِي).
لَيْسَ لِلْجَمَالِ طَائِفَةٌ
إِنَّهُ حُرٌّ
إِنَّ الْفَجَرَ الْوَرْدِي يَكْسُوهُ بِجَوَاهِرِهِ
وَلَكِ يَنْسِجُ اللَّيْلُ أَكَالِيلَ النُّجُومِ
اصْغِي إِلَى كَلِمَاتِي
إِنَّ زَهْرَةَ اللُّوتَسِ الْمُتَعَدِّدَةَ الْبَتَلَاتِ
وَالَّتِي تَتَفَتَّحُ

لَيْسَتْ لَهَا طَائِفَةٌ

هَلْ هِيَ مُدَنَّسَةٌ تِلْكَ الَّتِي يَتَأَلَّقُ

فَوْقَهَا نَعِيمَ السَّمَاوَاتِ؟

حَيْثُ يَفْرَحُ اللَّهُ بِخَلْقِهِ

تَسْكِبُ هُنَاكَ عَلَى الدَّوَامِ

مُبَارَكَةُ الْكَوْنِ.

وَحِينَ نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَلِيئَةِ بِالْمَاءِ

وَبِصَوْتِ الْغَيْمَةِ الْمُدَوِّيِّ

اخْتَفَى .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مَعَ ضَوْءِ الْفَجْرِ

أَرْسَمَ وَأُزِينَ بَعْدَةَ أَلْوَانِ

هَذَا الْوَعَاءِ الرَّهِيْفِ

لِكَيْ أُخْفِيَ انْتِمَاءَهُ الْأَرْضِيِّ

أَهْ، أَيُّهَا الْمَتَسَامِي فِي عُلاهِ

أَيُمْكِنُ أَنْ تُرْفَعَ إِلَى أَعْتَابِكَ
الْهَدِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ لِلْجَمَالِ
مِنْ تِلْكَ الَّتِي شَمَلْتَهَا بِقَبُولِكَ
حِينَ نَزَلْتَ عَنْ عَرْشِكَ السَّامِيِّ؟
إِنْ عَقَلِي لَمَحْجُوبٌ
بِحِجَابِ عَالَمِنَا هَذَا الْفَانِيِّ
وَهُوَ يَرَانِي عَبْرَ إِشَارَاتٍ
فِي النُّورِ وَفِي الظُّلْمَةِ
مُفْتَرِضًا وَمُجَرَّبًا
وَاضِعًا كُلَّ هَذَا مَعًا.
أَمَالَهُ، وَظَمَاهُ
وَمَشَارِيْعُهُ الْخَاصَّةُ
وَأَحْيَانًا، إِذَا تَحَسَّنَتْ أَحْوَالِي
يَرَانِي مُتَجَدِّدًا
الشُّكُوكُ قَامَتْ عَلَى الدَّوَامِ.

وَمَا أَكْثَرَ أَيَّامَ الَّتِي مَرَّتْ
عِنْدَ ضِيْفَافِ هَذَا الْبَيْتِ .
إِنْ عَالَمِنَا لِيُحِبُّهُ
وَيَلْهُو مَعَهُ
وَإِذَا انْتَهَى كُلُّ ذَلِكَ
تَبَاعَدَ عَنْهُ
وَإِنِّي لِأَتَسَاءَلُ
إِذَا كَانَ فِي الْعَالَمِ الثَّانِي
وَبِعَيْنِيهِ الْمُقَدَّسَتَيْنِ
الْمُتَحَرَّرَتَيْنِ مِنْ الْخِدَاعِ
سِيرَانِي؟
وَهَلْ سَأَكُونُ هُنَاكَ أَنَا نَفْسِي؟
وَبِقَدْرٍ مَا عَرَفَنِي حَتَّى الْآنَ
فَلَسْتُ وَاضِحَةً مَعَهُ كُلَّ الْوَضُوحِ
كَمَا أَنَّهُ هُوَ أَيْضاً لَيْسَ وَاضِحاً مَعِي كُلَّ الْوَضُوحِ

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ

إِنَّ النُّورَ الْكَامِلَ لَيْسَ شَيْئاً سِوَى الدَّمَارِ

إِنَّ مَهَارَةَ يَدِ الْخَالِقِ

تَلْهُو بِالْإِخْتِفَاءِ

وَتَبْحَثُ فِي النُّورِ وَالظُّلُمِ

وَفِي تِلْكَ (الْمَايَا) أَقْمَنَا مَعاً

قَاعَةَ الْعَابِنَا

وَنُحْدِعُنَا بِوَهْمِ غَيْرِ الْكَامِلِ

إِنَّ الْكَامِلَ فَقَطُّ هُوَ الْقَاسِي

الْمَكْشُوفُ، الصَّامِتُ . .

إِنِّي اسْتَيْقِظُ مِنْ جَدِيدِ

وَاللَّيْلِ يَنْهَارُ

وَالْكُونُ يُفْتَحُ أَفْوَافَ زُهُورِهِ

تِلْكَ مُعْجِزَةٌ لَا حَدَّ لَهَا

قَارَاتٌ قَدْ غَرِقَتْ
وَنُجُومٌ قَدْ خَبَتْ
وَعُهُودٌ بَلَغَتْ نِهَايَتَهَا
وَأَبْطَالٌ مِّنَ الْفَاتِحِينَ لِهَذَا الْعَالَمِ
قَدْ تَوَارَوْا فِي الْأَسَاطِيرِ
وَدُّوْلٌ رَفَعَتْ أَعْمِدَةَ نَصْرِهَا
فِي الْوَحْلِ الْمَنْقُوعِ بِالدَّمِ
لِكَيْ تُرْضِيَ الْجُوعَ التُّرَابِيَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ
الشَّبَعَ
وَفِي وَسْطِ دِمَاءِ هَذَا الْخَرَابِ
الْكَبِيرِ
يَتَلَقَّى جَبِينِي
مُبَارَكَةً أَوَائِلَ أَشِعَّةِ الْفَجْرِ الْوَلِيدِ
فِي خِتَامِ لَيْلَةٍ أُخْرَى .
تِلْكَ مُعْجِزَةٌ لَا حَدَّ لَهَا

واليوم

وفي وسط موكب النجوم

أحس أنني شيء واحد

مع الهملايا

وشيء واحد مع البستاريشي

وأجدني هناك

حيث ترقص الأمواج

لضحكة (رودرا) الرهيب

أيتها الأحقاب

التي كنت شاهداً على قيام

وسقوط التيجان والصولجانات

لقد تركت شيئاً من طابعهم

في دوائر هذه الشجرة العريقة

وأشعر أنني قد خصصت بميزة

الجلوس تحت ظلها

لِيَوْمٍ آخِرٍ أَيضاً
وَتِلْكَ مُعْجِزَةٌ لَّا حَدَّ لَهَا

* * *

الباب

أَيُّهَا الْبَابُ

إِبْقِ دَوْمًا مَفْتُوحًا

وَلَكِنَّ عِيُونَ السَّمَاءِ مُغْمَضَةٌ

وَهِيَ لَا تَعْرِفُ مَا يُوجَدُ بِالذَّاخِلِ

وَتَخْشَى الدُّخُولَ

أَيُّهَا الْبَابُ .

لَيْلًا وَنَهَارًا

نِدَاؤُكَ الْمُهِيبُ لَنْ يَكُونَ صَامِتًا

أَنْتَ تَنْفَتِحُ لِلشَّمْسِ الَّتِي تَبْرُغُ

وَتَنْفَتِحُ لِنُجُومِ اللَّيْلِ

أَيُّهَا الْبَابُ

مِنَ الْبِذْرَةِ إِلَى الزَّهْرَةِ

وَمِنْ الزَّهْرَةِ إِلَى الثَّمَرَةِ

وَمِنْ حِقْبَةٍ إِلَى حِقْبَةٍ

وَمِنْ الْمَوْتِ إِلَى الْخُلُودِ

أَنْتَ تَفْتَحُ الطَّرِيقَ

أَيُّهَا الْبَابُ

إِنَّ الْحَيَاةَ تَعْبُرُ بَوَابَ الْمَوْتِ

وَفِي لَيْلَةِ الْيَأْسِ

وَعَلَى طُولِ طَرِيقِ الْإِنْعِتَاقِ

سَيَتَرَدَّدُ طَوْعاً أَمْرُكَ

نِدَاءُ الدَّعْوَةِ

(لَا تَخَافُوا)

أَيُّهَا الصَّدِيقُ، إِنِّي أَعْرِفُكَ

وَلَكِنْ ذَلِكَ لَيْسَ هُوَ الْحَقِيقَةُ الْكَامِلَةُ

إِنِّي أَعْرِفُ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ

وَأَعْرِفُ مَنْ هُوَ فِي الْعَمَلِ أَوْ الرَّاحَةِ

يَبْدُو فِي مَلَامِحِهِ الصَّافِيَّةِ

دَاخِلَ حُدُودِهِ

إِنِّي أَتَعَامَلُ مَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ

وَأَتَقَاضِي مَا هُوَ مُقَرَّرٌ لِي

وَلَا شَيْءٌ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَفِي خِضَمِّ الْمُحِيطَاتِ

بَرَزْتَ مِنَ الْأَعْمَاقِ

وَدَخَلْتَ حَيَاتِي

فَحَمَلْتَ إِلَيْهَا الْمُبْهَمَ وَالْغَامِضَ

الَّذِي يُحِيطُ بِكَ

كَمَا تُحِيطُ الْغَيْمَةُ بِالنَّجْمَةِ

وَقَدْ جَعَلَ مِنْكَ الْفَنَّانُ

بِأَصَابِعِهِ الْمَاهِرَةِ

شَيْئًا قَرِيبًا

وَحِينَ تَكُونُ بَعِيدًا فَقَطْ

يُمْكِنُ لِلرَّاحَةِ أَنْ تَكُونَ صَمْتًا .
إِنَّ الْجَمَالَ الَّذِي يَحْمِي الْهَيْكَلَ الدَّاخِلِيَّ
يَجْعَلُنِي بَعِيدًا عَنْكَ بَعْدًا كَبِيرًا

* * *

أمل

لَقَدْ حَمَلْتُ فِي نَفْسِي طَوِيلًا
الْأَمَلَ فِي أَنْ أَعِيشَ وَحْدِي
مَعَ نَفْسِي
فِي زَاوِيَةٍ مُنْعَزِلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ
لَا ثَرْوَةَ وَلَا جَاهًا
وَلَكِنْ كُوخٌ صَغِيرٌ فَحَسَبَ
هَذَا مَا أَمَلْتُهُ
الظَّلَالُ النَّدِيَّةُ لِلْأَشْجَارِ
الْمَجْرَى الصَّامِتُ لِلنَّهْرِ
نَجْمَةُ الْمَسَاءِ الْمُتَأَلِّقَةُ عِنْدَ الْغُرُوبِ
أَرِيحُ أَزْهَارَ الْكَامِيلِيِّ الْمُتَصَاعِدِ إِلَى النَّافِذَةِ
أَوَّلِ أَنْوَارِ الْفَجْرِ الَّتِي تُشْبِهُ خَيْوطَ الْمَاءِ

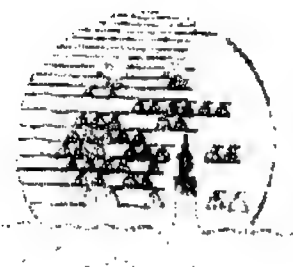
بِكُلِّ هَذَا كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمْلَأَ أَيَّامِي
بِالدُّمُوعِ وَالضَّحَكَاتِ
لَا ثُرُوءٌ وَلَا جَاهٌ
وَلَكِنْ مُجَرَّدُ كُوخٍ صَغِيرٍ
هَذَا مَا أَمَلْتُهُ .

لَقَدْ حَمَلْتُ طَوِيلًا الْأَمَلَ
بِأَنْ تَجِدَ تَأْمَلَاتُ قَلْبِي
صَوْتَهَا الْكَامِلَ
لَا ثُرُوءٌ وَلَا جَاهٌ

وَلَكِنْ مُجَرَّدُ تَعْبِيرِي الْخَاصِ
هَذَا مَا أَمَلْتُهُ

إِنْ شَمَسَ الْغُرُوبِ تَرَسُّمُ فَوْقِ الْغُيُومِ
صُورَةَ تَحَقُّقِهَا

مُمَثَّلَةً فِي أَلْوَانِ الطِّيفِ
بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَأَخْلُقُ (مَآيَا)



بالظلال والأضواء
في عالم الأحلام
بكل هذا سأملاً أيامي
بالدموع والضحكات
لا ثروة ولا جاه
مجرد تفتح أفكاري
وهي ثمرة تأملاتي
هذا ما رجوته وأملته .

* * *

منذ زمن بعيد
وهبتك قلبي
ولكن دموعك الرقيقة لم تُقدسه
ولم يُعِشه ندى العواطف اللطيفة
لقد ذبلت الزهور
وليس هناك إكليل يُزين عنقك .

يَبْدُو لِي أَنِّي أَرَى اللَّطْفَ
يَتَأَلَّقُ فِي عَيْنَيْكَ .

وَلَكِنَّهُ تَلَأَشَى مِثْلَ الزُّهُورِ الذَّابِلَةِ
فَإِذَا حَدَثَ وَأَنْتَ تَطَأُ هَذِهِ الْأَرْضَ
أَنْ وَقَعَتْ بِذَرَّةٍ مِنْ يَدَيْكَ

فَإِنَّهَا سَتَعُودُ إِلَيْكَ
كَحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ

كَثْمَرَةٍ أَبَدِيَّةٍ

عِنْدَمَا يَرْحَلُ الرَّبِيعُ
فَإِنَّهُ يَتْرُكُ بِاسِمًا

لَمَسَةِ الزُّهُورِ عَلَى حَافَةِ الْغَايَةِ .
وَهَكَذَا

فَإِنَّكَ حِينَ تَرْحَلِينَ
سَتُزْهِرُ ابْتِسَامَةً

وَبِإِيقَاعٍ رَاقِصٍ تَسْقُطُ زَهْرَةٌ

سَيَنْزِلُ قَارِبُكَ وَيَنْسَابُ فِي الْيَمِّ

وَأَنَا الْمَتْرُوكُ الْمُتَأَخَّرُ

سَأُحَدِّقُ فِي الْبَعِيدِ

وَحِينَ تَسْكُبُ الشَّمْسُ الْغَارِبَةَ

أَشِعَّتْهَا الذَّهَبِيَّةُ

فَوْقَ شِرَاعِكَ

فَإِنَّ الظَّلَامَ يَسُودُ قَلْبَ اللَّيْلِ

* * *

لَا تُوقِظُهُ ، لَا تُوقِظُهُ

إِنْ هَزِيْمَتَهُ تَعُودُ إِلَى الْقَدْرِ الْقَاسِي

وَهُوَ يَتَطَلَّعُ إِلَى أَنْ يُغْرِقَ جَمِيعَ الرِّغَبَاتِ

فِي هَاوِيَةِ سَحِيْقَةٍ

أَيْمَكِنْ أَنْ يَتَلَأَشَى ثِقْلُ التَّنْهَدِ الْفَاحِ

وَيَبْلُغُ نَوْمًا عَمِيقًا فِي سَوَادِ الْحَبْرِ الْأَسْوَدِ

مَا حَيًّا مِنْ صَفْحَةِ الذَّاكِرَةِ

كَلِمَاتِ الْمَاضِي السَّخِيفَةِ
دَعُ هَمَسَاتِ لَوْعَتِهِ تَسْكُتُ
وَتُصْبِحُ صَامِتَةً فِي مِثْلِ هُدُوءِ وَكْرِ
العَصَافِيرِ النَّائِمَةِ

* * *

القدوم والرحيل

يا حبيبتى
تعالى بخطوات صامتة
كأنك فى الحلم .
حين رحلت أرسل الباب صريراً
فاندفعت لدعوتها إلى الرجوع
ولكن الحلم صار غير متجسد
وتلاشى فى الظلام
وارتجاف القنديل من بعيد
كان كسراب أحمر بلون الدم

* * *

يا إلهي
إنى أحبُّ

الأمن الذي يسكن حُقُولَ الأرز
المُمتدَّةَ حتَّى أقاصي الأفقِ
والصَّوتَ المُتصَادِي
في نُورِ الزُّرْقَةِ الصَّافِي
والدهشة التي يتلأعبُ بها
تدفُّقُ الأنغامِ

على الضِّفافِ المُنعزلةِ من النَّهرِ
إن كُوخِي تلفهُ الرِّيحُ وتُحيطُ
به السَّمَاءُ ويَطوِّقُهُ النُّورُ
في اطمئنانٍ، وفرحٍ، وسعادةٍ
ومع ذلك فإنه عندما وصلني
رسولك حاملاً الدَّعوةَ السَّامِيَّةَ
فإني ألتمسُ أن تهبني القُوَّةَ.

* * *

طوال أعوامٍ عديدةٍ

وَبِثْمَنِ بَاهِظٍ
جَبْتُ مُخْتَلَفِ الْبُلْدَانِ
وَذَهَبْتُ لِمُشَاهَدَةِ الْمُحِيطَاتِ
وَلَكِنِّي لَمْ أَفْطِنِ
إِلَى قَطْرَةِ النَّدى الْمُتَأَلِّقَةِ
فَوْقَ سُنْبُلَةِ الْقَمْحِ
أَمَامَ عَتَبَةِ أَبِي .

* * *

إِنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي تَتَدَفَّقُ فِي عُرُوقِي
نَهَاراً وَلَيْلاً
تَرْقُصُ عَلَى إِيقَاعِ السَّمَاوَاتِ الْعَجِيبِ
وَتَجْرِي عَبْرَ مَسَامَاتِ الْأَرْضِ
نَاشِئَةً أَوْ رَاقَ الْفَرَحِ فِي الزُّهُورِ
وَالْبُذُورِ
وَعَاماً بَعْدَ عَامٍ

تَتَنَوَّبُ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ ، الْخُطَوَاتِ
بِمَدِّ الْمُحِيطَاتِ وَجَزْرِهَا .
إِنَّ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ تَنْبِضُ عِبْرَ أَعْضَائِي
خَالِعَةً عَلَيْهَا جَلالاً
وَخَفَقَانُ قَلْبِ الْعُصُورِ جَمِيعِهَا
يَرْقُصُ فِي أَعْضَائِي

* * *

فِي صَمْتِ اللَّيْلِ
وَبِعْيُونِ مُبَلَّلَةٍ بِالْدُمُوعِ
قَبَّلْتَنِي وَهَمَسْتَ فِي أُذُنِي
إِذَا تَرَكَتَنِي
فَإِنْ ثِقَلَ هَذَا الْفَرَاغُ
سَيُخَيِّفُنِي
وَعَالَمِي سَيَعْدُو قَاسِيًا
وَضَجْرُ السَّمَاءِ الْمُنْتَشِرُ فِي الْآفَاقِ
سَيَبْعِدُ كُلَّ أَمْنٍ .

أَلَمْ غَامِضٌ ، مَضَّاضٌ ، أَبْكُمْ
مَوْتُ أَفْطَعُ مِنَ الْمَوْتِ .
وَحِينَ سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْكَ
ضَمَمْتُكَ بِقُوَّةٍ إِلَى قَلْبِي
وَهَمَسْتُ

إِذَا رَحَلْتِ
فَسَيَّرَدُّ صَدَاكَ فِي أَغْنِيَاتِي
وَيَشِيْعُ فِيهَا الْأَلَمُ كَالْوَمْضِ الْخَاطِيفِ
وَسَوْفَ أَجِدُ فِي الْإِبْتِعَادِ عَنْكَ
بَابَ قَلْبِي

وَأَجِدُ بَيْتَكَ فِي عَالَمِي
وَأَصْغَتْ النُّجُومُ إِلَى هَذَا الْهَمْسِ
وَنَشَرَتْ رِسَالَتَهَا عَبْرَ زُهُورِ الْغَابِ
وَحِينَئِذٍ وَصَلَ فَجَاءَةً فِرَاقُ الْمَوْتِ
وَتَوَقَّفَتْ مُبَادَلَاتِنَا الْغَرَامِيَّةُ

ولكن هذا الفراغ ليس فراغاً بسيطاً
إن السماء مكسوة بغيومٍ مُثْقَلَةٍ
باللَّوْعَةِ

وفي نارِ هذه اللَّوْعَةِ
أَخْلُقُ أَنَا أُغْنِيَاتِي
وعَالَمِ أَحْلَامِي

* * *

في انتظارك

في نومك
وفي حدود أحلامك
أنتظر وأرقب في صمت ، مُحياك
مثل نجمة الصباح التي تبدو أول
ما تبدو عند نافذتك
وفي الطريق نفسها ، وقريباً من شاطئ
البحر
يغرق الناسك في تأملاته
مولياً وجهه نحو الشرق
إن ساعات سهره تمضي في نشوة
مؤرقة
ولا ينتظر سوى أن يغرق فيها

مَعَ أَوَّلِ أَضْوَاءِ الصَّبَاحِ .

وَبِعَيْنِيَّ

سَوْفَ أَشْرَبُ ابْتِسَامَتَكَ الْأُولَى

الَّتِي تُزْهِرُ فَوْقَ شَفَتَيْكَ شِبْهَ الْمَفْتُوحَتَيْنِ

مِثْلَ بُرْعَمٍ فِي تَفْتُّحِهِ

هَذِهِ رَغْبَتِي . .

أَيُّهَا الْحُزْنُ

حِينَ تَعْمُرُ الْقَلْبَ لَوْعَةً

لَا تَقْبَلُ الْعِزَاءَ

وَيَأْتِي الْحَارِسُ مِنَ الْخَارِجِ

لَيْسُدَّ جَمِيعَ الْأَبْوَابِ فِي وَجْهِ الْعِزَاءِ

فَعَلَى الذَّهْنِ إِذْنُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ

سِنْدَهُ الْوَثِيقَ مِنَ الْأَعْمَاقِ الْحَمِيمَةِ

وَقَطْرَاتُ مِنَ الرَّحِيقِ تَتَدَفَّقُ كَالدُّمُوعِ

هَذَا (أَنَا نَدَا) يُزْهِرُ فِي (الْأَنَا)

جَاعِلًا كُلَّ أَلَمِ أَلَمِهِ ، وَكُلَّ وَجَعٍ

وَجَعَةٍ

وَفِي هَذِهِ الظُّلْمَةِ العَمِيقَةِ

أَجِدُ فِي قَلْبِي النُّورَ الَّذِي لَا يُطْفَأُ

وَأَفْهَمُ أَنَّ السَّمَاءَ تَسْكُنُ دَوْمًا فِي دَاخِلِي

* * *

النهاية

إِذَا وَجَدْتَ فِي قَلْبِكَ الْغَايَةَ الْأَسْمَى
وَفِي (فِينَا) كُلَّ الْمُتَنَاقِضَاتِ
وَهِيَ تَنْدَمِجُ كُلُّهَا فِي انْسِجَامٍ عَذْبٍ
وَإِذَا كَانَتْ شَمْسُ الْغُرُوبِ
حِينَ تَحْمِلُ النَّهَارَ إِلَى الْمَجْهُولِ الْغَامِضِ
تَدْعُوكَ إِلَى الْعَوْدَةِ
وَفِي عِبَادَةِ الْجَمَالِ
تَسْكُبُ آخَرَ أَشِعَّتْهَا.
وَإِذَا كَانَ الْمَسَاءُ تَحْتَ قُبَّةِ
اللَّائِنِهَائِي
يُظْهِرُ كَيْفَ يَتَأَجَّجُ مَصْبَاحُ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ
وَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ يَفْتَحُ أَبْوَابَ صَمْتِهِ

وَيَقُودُ بِلُطْفٍ إِلَى ضِفَّةِ الْحَاجِّ
حَيْثُ تَنْصَهَرُ جَمِيعُ الْأَصْوَاتِ فِي الْمُحِيطِ
الضَّخْمِ

وَإِذَا تَطَلَّعْتَ إِلَى عِطْرِ اللُّوْتَسِ
الَّذِي يَطْفَحُ فَوْقَ بُحَيْرَةِ الْفِكْرِ
كَهْبَةِ أَخِيرَةٍ

كَتَجِيَّةِ أَخِيرَةٍ

فَعَلَيْكَ إِذْنٌ أَنْ تَخْتِمَ النَّهَارَ
وَتَدَعَ الْعَمَلَ يَتَوَقَّفُ

* * *

لَقَدْ تَغَذَّتْ حَيَاتِي مِنَ النَّهْرِ
وَعَبَّرَ جَدَاوِلِهِ

كَانَتْ عَطَايَا الْكَثِيرِ مِنْ قِمَمِ الْجِبَالِ
تَنْسَكِبُ فِي السُّفُوحِ

فَتُغْنِي حُقُولَهَا بِطِينِ النَّهْرِ الْعَظِيمِ

إِن نَسَغَ الحَيَاةَ العَجِيبَةَ
يَغْذِي الحُقُولَ مِن عِدَّةِ مَنَابِعِ
وَتَحِيْطٍ بِحُلْمِهِ وَيَقْظَتِهِ
سَيُولِ مِنَ الأَغَانِي
تَتَدَفَّقُ مِنَ الشَّرْقِ وَالعَرَبِ
إِن النَّهْرَ رَسُولُ الكَوْنِ
الذِي يُقَرِّبُ البَعِيدَ
وَيَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ البَعْضِ
تَحِيَّةَ المَجْهُولِ
ذَلِكَ النُّهْرُ قَدْ نُسِجَ فِي كُلِّ أَعْوَامِي

* * *

الهِلَالُ

منطق الطفل

لو أراد الطفلُ
فسيكونُ في وسعِهِ أَنْ يُحَلِّقَ في السَّمَاءِ
فَوْرًا

وبقاؤه معنا لَا يَخْلُو مِن مَعْنَى
فهو يُجِبُّ أَنْ يُرِيحَ رَأْسَهُ عَلَى صَدْرِ أُمِّهِ
وَلَا يُطِيقُ مُجَرَّدَ غِيَابِهَا عَن بَصَرِهِ .
وَالطِّفْلُ الصَّغِيرُ يَعْرِفُ كُلَّ ضُرُوبِ
الكَلِمَاتِ الحَكِيمَةِ رَغْمَ أَنَّ الَّذِينَ
يُدْرِكُونَ مَعْنَاهَا، قَلَّةٌ نَادِرَةٌ

وَإِحْجَامِهِ عَنِ الكَلَامِ لَا يَخْلُو مِن مَعْنَى
والشيءُ الوَحِيدُ الَّذِي يَرْتَبُّ فِيهِ
أَنْ يَتَعَلَّمَ الكَلِمَاتِ مِن شَفَتِي أُمِّهِ

ولهذا يبدو بريئاً ساذجاً
والطفل الصغير يتوفر على كنوز
من الذهب والآلي
ومع ذلك ، فقد جاء هذه الأرض
في هيئة متسول
وليس من العبث
أن يتخذ هذا المظهر
فهذا الصغير العزيز المتسول العاري
كان يصطنع العوز
لكي يطلب حباً أمه
والطفل الصغير خالٍ من كل قيد
في بلد الهلال الرهيف
وليس من العبث
أن يدرك أنه بتخليه عن حرّيته
يستعوض عنها بفرحٍ لا محدود

فِي رُكْنٍ صَغِيرٍ
مِنْ قَلْبِ أُمَّه
وَأَعَذَبُ مِنَ الْحُرِّيَّةِ
أَنْ تَضُمَّهُ أُمَّه بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا الْحَانِيَتَيْنِ
وَالطِّفْلُ لَا يَعْرِفُ الْبَكَاءَ
لَأَنَّهُ يَسْكُنُ فِي وَطَنِ السَّعَادَةِ الْكَامِلَةِ
لَيْسَ مِنَ الْعَبَثِ
أَنْ يَكُونَ قَدْ اخْتَارَ سَكْبَ الدُّمُوعِ
حَتَّى يَجْذِبَ بِابْتِسَامَةٍ وَجْهَهُ الصَّغِيرِ
اللَّطِيفِ
قَلْبَ أُمَّه الْحَنُونِ
وَدُمُوعَهُ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تُثِيرُهَا
آلَامُهُ الْبَسِيطَةُ تَنْسِجُ لَهُ رِبَاطاً
مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْحُبِّ

البيت

كنتُ أمشي وحدي
في الدربِ الواقعِ بين الحقول
وكان الغروبُ يُبدي في بُحُلٍ
آخر ألوانه الذهبية
والنهار يَغطسُ في الظلِّمة
والأرض الجرداء التي حصدتُ معاصيلها
كانت تمتدُّ في صمتٍ ..
وفجأة ارتفع في الجوّ
صوتٌ حادّ
صوتُ طفلٍ كان يسيرُ في الظلِّمة
تاركاً خلفه أثرَ أغنيته
وكانت قريته تقعُ في نهايةِ الأرضِ غير المزرُوعَة

بَعْدَ حَقْلِ قَصَبِ السُّكَّرِ
 مُخْتَبِئَةً بَيْنَ ظِلَالِ الْمَوْزِ وَأَشْجَارِ
 النَّخْلِ السَّامِقَةِ وَجَوْزِ الْهِنْدِ
 وَأَشْجَارِ (الْحَاكِ) الْخَضْرَاءِ .
 وَتَوَقَّفْتُ بِرَهَةٍ قَصِيرَةٍ
 صَامِتًا تَحْتَ أَضْوَاءِ النُّجُومِ
 وَأَمَامِي
 كُنْتُ أَرَى الْأَرْضَ الْمُظْلَمَةَ
 تَحْتَضِنُ بِذِرَاعَيْهَا عَدَدًا كَبِيرًا
 مِنَ الْمَسَاكِينِ الْعَامِرَةِ بِالْأَسْرَةِ وَالْمُهْودِ
 وَقُلُوبِ الْأُمَمَاتِ ، وَقَنَادِيلِ الْمَسَاءِ
 وَنُفُوسِ شَابَةِ سَعِيدَةٍ
 سَعَادَةٌ لَا تَعْرِفُ هِيَ نَفْسَهَا شَيْئًا عَنْ
 قِيَمَتِهَا بِهَذَا الْكَوْنِ . . .

المشهد المهمل

إيه ، يَا طِفْلِي
مَنْ الَّذِي صَبَّغَ ثَوْبَكَ الصَّغِيرَ
وَعَطَى أَطْرَافَكَ الغَضَّةَ بِذَلِكَ
الرُّدَاءِ الأَحْمَرِ الصَّغِيرِ؟
لَقَدْ خَرَجْتَ عِنْدَ الصَّبَاحِ لِلْعِبِ
فَكُنْتُ تَرْكُضُ فِي غَيْرِ اطْمِئْنَانِ
وَتَكْبُو فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ
وَلَكِنْ مَنْ الَّذِي صَبَّغَ هَذَا الثَّوْبَ الصَّغِيرَ
يَا بُنَيَّ . . .

مَا الَّذِي يُضْحِكُكَ
يَا زَهْرَتِي الصَّغِيرَةَ
أُمُّكَ تَبْتَسِمُ لَكَ عِنْدَ عَتَبَةِ البَابِ

وَتُصَفِّقُ لَكَ فَتَرِنًا أَسُورَتُهَا
فَتَرَقُّصًا أَنْتَ لِذَلِكَ
وَقَدْ أَمْسَكْتَ قَصَبَةَ الْبَامْبُو بِيَدِكَ
كَأَنَّكَ رَاعٍ صَغِيرٍ
وَلَكِنَّ مَا الَّذِي يُضْحِكُكَ
يَا زَهْرَتِي الصَّغِيرَةَ؟
أَيُّهَا الْمُسَوَّلُ . . . مَاذَا تَسْتَجِدِّي
مُتَعَلِّقًا بِعُنُقِ أُمِّكَ بِكِلْتَا يَدَيْكَ؟
أَيُّهَا الْقَلْبُ النَّهْمُ . أَيَّنْبَغِي عَلَيَّ
أَنْ أَقْطِفَ الْكُونَ كَمَا لَوْ كَانَ فَكِيهَةً
سَمَاوِيَّةً لِأَلْقِي بِهِ فِي يَدِكَ الْوَرْدِيَّةِ؟
أَيُّهَا الْمُسَوَّلُ . . . مَاذَا تَسْتَجِدِّي؟
إِنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُ فِي فَرَحٍ
صَدَى رَنَاتِ خَلَاخِيلِكَ الصَّغِيرَةِ
وَالشَّمْسُ تَبْتَسِمُ لِرُؤْيَا هِنْدَامِكَ

وَالسَّمَاءُ تَسْهَرُ عَلَيْكَ
حِينَ تَغْفُو بَيْنَ ذِرَاعِي أُمَّكَ
وَالفَجْرُ يَقْتَرِبُ مِنْ سَرِيرِكَ الصَّغِيرِ
عَلَى أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ ، لِيُقَبَّلَ
عَيْنِكَ

إِنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُ فِي فَرْحِ
رَيْنِ خَلَاخِيلِكَ الصَّغِيرَةِ
وَحُورِيَّةِ الْأَحْلَامِ تَهْبِطُ إِلَيْكَ
مُحَلَّقَةً عَبْرَ السَّمَاءِ بِجِوَارِكَ
فِي قَلْبِ أُمَّكَ

وَذَلِكَ الَّذِي يَعْرِفُ مُوسِيْقَاهُ
لِلنَّجُومِ يَقِفُ إِلَى نَافِذَتِكَ
بِنَايِهِ الرَّهِيْفِ
وَحُورِيَّةِ الْأَحْلَامِ تَنْزِلُ نَحْوَكَ
عَبْرَ سَمَاءِ الْغُرُوبِ

سارقة النوم

مَنْ الَّذِي سَرَقَ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي الطَّقْلِ الْوَلِيدِ؟
 يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَعْرِفَهُ
 إِنْ الْأُمُّ وَهِيَ تَضُمُّ الْجُرَّةَ إِلَى صَدْرِهَا
 قَدْ ذَهَبَتْ لِأَخْذِ الْمَاءِ مِنَ الْقَرْيَةِ الْقَرِيبَةِ
 كَانَ مُتَّصِفًا النَّهَارِ
 وَوَقْتُ اللَّعِبِ قَدْ انْتَهَى
 وَبَجَعُ الْغَدِيرِ لَزِمَ الصَّمْتَ
 وَالرَاعِي يَرْقُدُ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةِ الْبِنْيَانِ الْكَبِيرَةِ
 وَمَالِكِ الْحَزِينِ مُتَّجِهًا وَسَاكِنِ عِنْدَ الْغَدِيرِ
 الْوَاقِعِ قُرْبَ غَابَةِ الْمَانُجَا
 فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ جَاءَتْ سَارِقَةُ النَّوْمِ
 وَانْتَزَعَتْ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي الطَّقْلِ
 وَطَارَتْ

وَعِنْدَ الْعَوْدَةِ ، وَجَدَتِ الْأُمَّ طِفْلَهَا
يَحْبُو فِي الْغُرْفَةِ
مَنْ الَّذِي سَرَقَ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي طِفْلِنَا ؟
عَلِيٌّ أَنْ أَعْرِفَهَا
عَلِيٌّ أَنْ أَعْتُرَّ عَلَيْهَا وَأَقِيدَهَا بِالسَّلَاسِلِ .
عَلِيٌّ أَنْ أُفْتَشَ فِي الْكَهْفِ الْمُظْلِمِ
بَيْنَ الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمُتَجَهِّمَةِ
حَيْثُ يَتَأَلَّقُ جَدُولٌ صَغِيرٌ
عَلِيٌّ أَنْ أُفْتَشَ فِي الظِّلِّ النَّاعِسِ
مِنْ غَابَةِ الْبَاكُولَا الصَّغِيرَةِ حَيْثُ
حَيْثُ الْحَمَامُ يَقْبَعُ فِي زَوَايَاهُ
وَيَخْلَانِخِيلُ تَرْنَ فِي سِقَانِ الْحُورِيَّاتِ
مِنْ صَمْتِ اللَّيَالِي الْمَرَّصَعَةِ بِالنُّجُومِ
وَفِي الْمَسَاءِ ، سَوْفَ أُسْرِقُ النَّظَرَ
فِي صَمْتِ غَابَةِ الْبَامْبُو « حَيْثُ الْحُبَابِجُ
تُبَدُّ أَضْوَاءَهَا ، وَاسْأَلْ كُلَّ مَخْلُوقٍ
أَقَابِلَهُ (أَفِيكُمْ مِنْ يَدُلُّنِي عَلَى سُكْنِي

سارقة النوم)

التي سرقت النوم من عيني الطفل؟ علي أن أعرفها
لو استطعت القبض عليها
للقتها درساً هائلاً .

سأذهب إلى وكرها .

وأنظر أين تجمع كل النوم المسروق

سأخذه لأعود به إلى البيت

سأقيد جناحها قيداً محكماً

وأضعها عند ضفة النهر

واترك لها أن تصطاد السمك

بين الأسل

وحين تنتهي السوق في المساء

ويجلس أطفال القرية

في أحضان أمهاتهم

فإن طيور الليل سوف تصم

سمعها بالترديد

ممن ستسرقين النوم . الآن ؟ ..

البداية

مِنَ أَيْنَ جِئْتُ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَخَذْتَنِي؟
كَانَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ يَسْأَلُ أُمَّهُ
فَأَجَابَتْهُ الْأُمُّ بِأَكْيَافَةٍ
وَشِبْهِ ضَاحِكَةٍ ، وَهِيَ تَضُمُّهُ
إِلَى صَدْرِهَا .
لَقَدْ كُنْتُ مُخْتَفِيًّا فِي قَلْبِي
كَأَمْنِيَّةٍ يَا حَبِيبِي
كُنْتُ فِي دُمَى أَلْعَابِ طِفُولَتِي
وَحِينَ كُنْتُ ، كُلَّ صَبَاحٍ
أَصْنَعُ مِنَ الطِّينِ صُورَةَ إِلَهِي
كُنْتُ أَيْضًا أَكُونُ
صُورَتِكَ وَأَعِيدُ تَكْوِينَهَا
لَقَدْ كُنْتُ مُحْفُوظًا فِي خِزَانَةِ ذَخَائِرِ

مَقْدَسَاتِنَا الْعَائِلِيَّةُ
 وَفِي عِبَادَتِنَا لَهَا ، كُنَّا نَعْبُدُكَ
 فِي كُلِّ آمَالِنَا
 وَفِي كُلِّ حَبْنَا
 وَفِي حَيَاتِي ، وَحَيَاةِ أُمِّي
 كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَعِيشُ
 وَفِي حِضْنِ الرُّوحِ الْخَالِدَةِ
 الَّتِي تَحْفَظُ أَسْرَتَنَا
 تَغَذِّيْتِ هُنَاكَ لِأَعْوَامٍ عَدِيدَةٍ
 وَعِنْدَ شَبَابِي ، وَحِينَ فَتَحَ
 قَلْبِي أَفْوَافَهُ
 كُنْتَ تَحُومُ حَوْلَهُ كَالْعِطْرِ
 وَأَزْدَهَرَ لُطْفُكَ فِي جَسَدِي الشَّابِّ
 مِثْلَ رَوْعَةِ السَّمَاءِ قَبْلَ الْفَجْرِ
 أَنْتَ يَا أَوْلَ حُبِّ سَمَاوِيٍّ
 يَا تَوَّامَ نُورِ الصَّبَاحِ
 هَبَّطْتَ إِلَيْنَا رَفَافَ الْجَنَاحَيْنِ فَوْقَ تِيَّارِ حَيَاةِ الْعَالَمِ

وأخيراً نزلتَ في قلبي
و حين الأَحيظَ وَجْهَكَ الصَّغِيرَ
يَغْلِبُنِي السَّرُّ وَيَغْرِقُنِي
أنتَ الذي تَخُصُّ الجميعَ
صِرْتَ لي وحدي
وَخَوْفًا من أَفْقِدَكَ
أَضْمُكَ إلى صَدْرِي
أَيُّ سِحْرٍ هَذَا الذي قَيَّدَ
خَزَائِنَ الكَوْنِ بَيْنَ ذِرَاعِيَّ
الوَاهِتَيْنِ؟

دنيا الطفل

أريد أن أشغل زاوية هادئة
من قلب دنيا طفلي
أعرف أن النجوم تتحدث إليه
وأن السماء تنحني في حنو على محياه
لئبها بأقواس قزح وبعض الغيوم العابثة .
تلك الأشياء التي تتظاهر بأنها بكماء
وتظهر أنها غير قادرة على الحركة
تأتي كلها إلى نافذته وتتملقه
بأقاصيصها وبأوعية ملأى باللعب البراقة
لكم أتمنى أن أرحل عبر الطريق
التي تخترق عقل الطفل ،
وخارج كل الحدود

حَيْثُ الرُّسُلُ تَحْمِلُ أَنْبَاءَ لَا غَايَةَ لَهَا
بَيْنَ مَمَالِكِ لَا تَنْتَمِي إِلَى أَيِّ تَارِيخٍ
حَيْثُ يَجْعَلُ العَقْلُ مِنْ قَوَائِينِهِ
نُوراً يَدْفَعُهَا إِلَى التَّحْلِيْقِ
وَحَيْثُ الحَقِيقَةُ تُحَرِّرُ الوَقَائِعَ
مِنْ أَسْرِ العُبُودِيَّةِ

متى ولماذا

حين أُحمِلُ إليك ، يا طفلي الصغير
دمي متعددة الألوان
فإني أفهم سر وجود العديد من الألوان
في الغيوم والماء
وأفهم لماذا كانت الزهور ملونة
بطريقة غريبة
حين أهدي إليك دمي متعددة الألوان.
وحين أغني لترقيصك
أفهم حقاً لماذا توجد موسيقى
في أوراق الشجر
والأمواج تُرسل أناشيد
أصواتها المائية حتى تبلغ قلب الأرض المصغية إليها
حين أغني لترقيصك

وَحِينَ أَقْدَمُ الْحَلْوَى إِلَى يَدَيْكَ الشَّرِهَتَيْنِ
أَفْهَمُ لِيَاذَا يُوجَدُ الْعَسَلُ
فِي أَكْمَامِ الزَّهْرِ
وَلِيَاذَا كَانَتْ الْفَوَاكِهَ مَلِيئَةً

بِالْعَصِيرِ اللَّذِيذِ

حِينَ أَقْدَمُ الْحَلْوَى إِلَى يَدَيْكَ
وَحِينَ أَقْبَلُكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَبْتَسِمَ
يَا حَبِيبِي ، أَفْهَمُ يَقِينًا
تِلْكَ الْبَهْجَةَ الَّتِي تَنَالُ مِنَ السَّمَاءِ
فِي ضَوْءِ الْفَجْرِ ، وَأَيُّ مَتْعَةٍ
يَمْنَحُهَا نَسِيمُ الصَّيْفِ إِلَى كِيَانِي الْجَسَدِيِّ
حِينَ أَقْبَلُكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَبْتَسِمَ

تَشْهِير

لِإِذَا كُلُّ هَذِهِ الدَّمُوعِ فِي عَيْنِكَ
يَا طِفْلِي الصَّغِيرِ؟
لَكُمْ يُبَالِغُونَ فِي تَأْنِيكِ
لَأَتَفَهُ الْأَسْبَابِ ، عَلَى الدَّوَامِ
لَقَدْ لَطَّخْتَ يَدَكَ وَوَجْهَكَ
بِالْحَبْرِ أَثْنَاءَ الْكِتَابَةِ
فَلِهَذَا يَقُولُونَ عَنْكَ أَنَّكَ قَدِرٌ؟
هَرَاءَ ، أَيَجْرَأُونَ عَلَى الْقَوْلِ
بِأَنَّ الْبَدْرَ قَدِيرٌ لِمُجَرَّدِ
أَنْ تَلَطَّخَ وَجْهَهُ بِالْحَبْرِ؟
لَهُمْ لِكُلِّ تَرَهَّةٍ
يَا طِفْلِي الصَّغِيرِ
يَجِدُونَ سَبَبًا لِلضَّحْكِ مِنْكَ

على أقل الأخطاء
لقد مزقت ثيابك أثناء اللعب
فلهذا يقولون عنك إنك طائش
هذا هراء. ما عساهم يقولون
في صباح خريفي يتسيم بين الغيوم
المتلبدة؟

لا تهتم يا طفلي بما يقولون
إنهم يعددون أخطاءك في قائمة طويلة
وجميعهم يعلم أن الحلويات تروق لك
ولهذا يسمونك نهماً شرهاً؟
هذا هراء. ماذا عساهم إذن يقولون
عنا نحن الذين نحبك

القاضي

قُولُوا عَنْهُ مَا تَشَاءُونَ
فَأَنَا أَعْرِفُ عُيُوبَ طِفْلِي
لَا أَحِبُّهُ لِأَنَّهُ طَيِّبٌ
وَلَكِنِّي أَحِبُّهُ لِأَنَّهُ صَغِيرِي
كَيْفَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا
مِقْدَارَ مَعْرَتِهِ
إِذَا كُنتُمْ تَزِنُونَ مَزَايَاهُ وَعُيُوبَهُ؟
حِينَ أَهْمُ بِمَعَاقِبَتِهِ
يُصْبِحُ قِطْعَةً مَنِّي عَلَى نَحْوِ أَكْبَرٍ
وَحِينَ أَبْكِيهِ ، يَبْكِي قَلْبِي مَعَهُ
أَنَا وَحْدِي لِي الْحَقُّ فِي لَوْمِهِ وَعِقَابِهِ
لِأَنَّهُ لَا يَحِقُّ أَنْ يُسَلِّطَ الْعِقَابَ
إِلَّا مِنْ أَحَبِّ ..

دُمى

ما أسعدك أيها الطفل الصغير
وأنت جالس فوق التراب
تلعب طوال الصباح بغصن صغير
إنني أضحك من لهوك هذا بذلك
الغصن المكسور
أما أنا فمستغرق استغراقاً كاملاً
في جمع أرقامي، ساعات وساعات
ربما رمقتني مفكراً ساخراً قائلاً في ذهنك
يا لها من لعبة غبية يضيع فيها الصباح
أيها الطفل، لقد نسيت فن اللعب
بأكوام الوحل والعصي
إنني أبحث عن دُمى غالية

وَأَجْمَعُ أَكْوَاماً مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ خَلْقَ الْعَابِكِ الْمُفْرِحَةِ
بِكُلِّ مَا يَقَعُ تَحْتَ يَدِكَ
أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَبَدُّ وَقْتِي وَقَوَايَ
فِي سَبِيلِ أَشْيَاءَ لَا أَنْجَحُ أَبَداً
فِي الْحُصُولِ عَلَيْهَا
وَأَجْهَدُ نَفْسِي وَزُورَقِي الْبِدَائِيَّ الْخَفِيفَ
لِعُبُورِ بَحْرِ الشَّهَوَاتِ
وَأُنْسَى
أَنْ زُورَقِي هُوَ الْآخِرُ
مُجَرَّدُ لُعْبَةٍ

الفلكي

قلتُ : في الليل ، حين يكون
القمرُ ، بدرًا أسيرًا بين أغصان
شجرِ الكدمِ ، ألا يكونُ في وَسْعِ
أحدنا أن يُمسِكَ بِهِ؟

ولكن أخي الأكبر سخرَ مِنِّي وقال :
أيها الطفلُ الصَّغيرُ إنَّكَ لَغَيِّبٌ صَغِيرٌ
إن القمرَ دائماً بعيدٌ عَنَّا
كيف يُمكننا أن نُمسِكَ بِهِ؟

قلتُ : يالك من غيبي أيها الأخ الكبير
أحين تُواجهُ أمنا النَّافذةَ
وتنظرُ إلينا باسمَةً ونحنُ نلهو بالعبابنا
هل تقولُ إنها بعيدةٌ؟

ولكن أخي الأكبر قال : إنَّكَ لَغَيِّبٌ حَقًّا

أَيْنَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَجِدَ شِبْكَةً كَبِيرَةً
تُمْسِكُ بِهَا الْقَمَرَ؟
قُلْتُ : يُمَكِّنُ أَنْ أُمْسِكَ بِيَدِي
وَلَكِنِ أَخِي الْأَكْبَرَ ضَحِكَ وَقَالَ :
إِنَّكَ أَغْبِيَ طِفْلٌ عَرَفْتَهُ
لَوْ دَنَا مِنَّا الْقَمَرُ
لَرَأَيْتَ مِقْدَارَ ضَخَامَتِهِ
قُلْتُ : أَيُّهَا الْأَخُ الْأَكْبَرُ آيَةُ حِمَاقَاتٍ
يَعْلَمُونَكَ فِي الْمَدْرَسَةِ
حِينَ تَنْحَنِي أَمَّا لِتَقْبِيلِنَا
أَيْدُو لَكَ أَنْ وَجْهَهَا كَبِيرٌ؟
وَلَكِنِ أَخِي الْأَكْبَرَ كَرَّرَ الْقَوْلَ :
إِنَّكَ حَقًّا لَطِفٌ غَبِيٌّ...

غيوم وأمواج

يا أمّاه

إن سَكَانَ الْغُيُومِ يَدْعُونَنِي لِلذَّهَابِ مَعَهُمْ
سَنَلْعَبُ وَنَلْهُو مِنْ الصَّبَاحِ حَتَّى الْمَسَاءِ
سَنَلْهُو مَعَ الْفَجْرِ الذَّهَبِيِّ
وَنَلْهُو مَعَ الْقَمَرِ الْفِضِّيِّ
وَسَأَلْتُ

كَيْفَ يُمْكِنُنِي الصُّعُودُ لِلْعِبِّ مَعَكُمْ؟
تَعَالِ حَيْثُ نِهَآيَةُ الْأَرْضِ
وَابْسُطْ يَدَيْكَ نَحْوَ السَّمَاءِ
وَسَيَكُونُ فِي وَسْعِكَ الصُّعُودُ إِلَى الْغُيُومِ .
إن أمي في انتظاري في البيت

كَيْفَ يُمَكِّنُنِي تَرْكُهَا وَالْحُضُورُ إِلَيْكُمْ .
وَحِينَئِذٍ ضَحِكُوا مِنِّي وَوَلُوا مُسْرِعِينَ
يَا أُمَّاهُ ، إِنِّي أَعْرِفُ لَعِبَةً أَجْمَلَ
أَكُونُ فِيهَا أَنَا الْغُيُومَ
وَتَكُونِينَ أَنْتِ الْقَمَرَ
وَسَأَغْطِيكِ بِكُلِّ يَدِيَّ
وَسَقْفُنَا سَيَكُونُ السَّمَاءُ
أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْأَمْوَاجَ
يَدْعُونَنِي لِلذُّهَابِ مَعَهُمْ
سَتَلْعَبُ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى الْمَسَاءِ
وَسَتَّرَحَلُّ دُونَ أَنْ نَدْرِي إِلَى أَيْنَ
وَأَسْأَلُ

كَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَنْضَمَّ إِلَيْكُمْ وَأَلْعَبُ مَعَكُمْ
تَعَالَى إِلَى حَافَةِ الشَّاطِئِ
وَالْبَثُ هُنَاكَ بِعَيْنَيْنِ مُغْمَضَتَيْنِ

وستَحْمِلُكَ الأَمْوَاجُ

إن أُمِّي تُصِرُّ عَلَيَّ وَجُودِي فِي البَيْتِ مَسَاءً

فَكَيْفَ يُمَكِّنِي، تَرَكُّهَا والحُضُورُ إِلَيْكُمْ

فابْتَسَمُوا، وَرَقَصُوا، وَأَنْصَرَفُوا عَنِّي

وَلَكِنِّي أَعْرِفُ لُعْبَةَ أَحْسَنَ

أَن أَكُونَ أَنَا الأَمْوَاجَ

وَأَنْتِ الشَّاطِئَةُ: الغَرِيبَ

وَأَجْمَعَ نَفْسِي فِي انْدِفَاعَةٍ طَوِيلَةٍ

ثُمَّ أَنْكَسِرُ قِطْعاً فَوْقَ نَهْدِكَ

ضاحِكاً

وَلَا أَحَدَ فِي الكَوْنِ

يَذَرِي مَكَانَكَ وَمَكَانِي

* * *

زهرة الشامبا

لِنَفْرِضْ ، عَلَى سَبِيلِ الْعَبَثِ ، أَنِّي أَصِيرُ
زهرة شامبا
تَنُمُّ فَوْقَ الْغُصْنِ ، وَتَهْتَزُّ ضَاحِكَةً لِلرِّيحِ
وَتَرْتُقِصَ فَوْقَ الْأُورَاقِ النُّصِيرَةَ الْغَضَّةَ
فَهَلْ سَتَعْرِفِينِي يَا أُمَّهُ؟
وَتَنَادِينِي : أَيُّهَا الطِّفْلُ ، أَيْنَ أَنْتَ؟
وَأَنَا أَضْحَكُ مِنْ هَذَا النَّدَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي
وَأُظِلُّ مُلَازِمًا الصَّمْتَ
وَافْتَحُ أَفْوَافَ زَهْرَتِي بِسُرْعَةٍ
وَالْأَحِظُّكَ وَأَنْتَ مُنْصَرِّفَةٌ إِلَى الْعَمَلِ .
وَإِنَّمَا تَفْرَغِينَ مِنْ حَمَامِكَ
وَبِشَعْرِكَ الْمُبَلَّلِ الْمُنْسَرِحِ فَوْقَ الْكَتْفَيْنِ
تَمْرِينَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةِ الشَّامْبَا

متوجهة الى الساحة الصغيرة
حيثُ ترتلين صلواتك
مُلاحظَةً عِطْر الزُّهْرَةِ
دُونَ أَنْ تَعْرِفِي أَنَّهُ يَضُوعُ مِنِّي
وَحِينَ تَجْلِسِينَ بَعْدَ الْغَدَاءِ إِلَى النَّافِذَةِ
تَقْرَأِينَ (الرَّمَايَاتُ)
وَالشَّجْرَةَ تُلقِي ظِلَّالَهَا فَوْقَ غَدَائِرِكَ
وَأَلْقِي أَنَا بِظِلِّي الصَّغِيرَ فَوْقَ حِضْنِكَ
وَعَلَى الصَّفْحَةِ الَّتِي تَقْرَأِينَهَا مِنَ الْكِتَابِ
فَهَلْ سَتَتَصَوَّرِينَ أَنَّهُ الظِّلُّ الضَّئِيلُ
لِطِفْلِكَ الصَّغِيرِ؟
وَفِي الْمَسَاءِ ، حِينَ تَقْصِدِينَ الْحَظِيرَةَ
وَتَحْمَلِينَ بِيَدِكَ الْمِصْبَاحَ الْمَضِيءَ
سَاقْفُزُ فِجَاءً إِلَى الْأَرْضِ
وَأَصْبِحُ طِفْلَكَ مِنْ جَدِيدٍ
وَأَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَقْصِي لِي قِصَّةً

وتسألين أين كنتُ أيها الطائشُ الصَّغِيرُ؟
أفضَّلُ أن لا أُخبركَ بشيءٍ يا أمَّاهُ
فَمَا أَكْثَرَ مَا سَوْفَ نَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا وَذَاكَ ...

البلد المسحور

لو عرفَ النَّاسُ مكانَ قَصْرِي
لتلَّاشَى في الفِضَاءِ
فَجُدْرَانُهُ من فِضَّةٍ
وسُقُوفُهُ من ذَهَبٍ
وتَقِيمُ المَلِكَةِ في قَصْرِ لِه سَبْعَ أَفْنِيَةٍ .
وتَتَحَلَّى بِجَوْهَرَةٍ تُسَاوِي قِيَمَتَهَا
سَبْعَ مَمَالِكٍ .
إِنِّي أُخْبِرُكَ هَمْسًا يَا أُمَّاهُ ،
بِمَوْقِعِ قَصْرِي المَلِكِي ؟
إِنَّهُ في زَاوِيَةٍ من سَطْحِ بَيْتِنَا
حَيْثُ زَهْرِيَةُ التُّوَلْسِي .
وَالأَمِيرَةُ تَضْجَعُ نَائِمَةً
فوق الشَّاطِئِ القَصْبِي لِلْبِحَارِ السَّبْعَةِ

التي لا يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَمْخُرَهَا
 وَلَا أَحَدٌ فِي الْكُونِ يَمْكِنُهُ أَنْ يَعْثُرَ عَلَيْهَا سِوَايَ .
 لَدَيْهَا أُسُورَةٌ وَأَقْرَاطٌ مِنْ لآلِيءٍ
 وَغَدَائِرُهَا تَنْسَابُ حَتَّى قَدَمَيْهَا
 وَهِيَ تَسْتَيْقِظُ بِمُجَرَّدِ أَنْ أَلْمَسَهَا
 بِعَصَايَا السُّحْرِيَّةِ
 وَتَتَنَاثَرُ الْجَوَاهِرُ مِنْ فَمِهَا حِينَ تَبْتَسِمُ لِي
 إِنِّي أَفْضِي إِلَيْكَ هَمْسًا يَا أُمَامَ بِمَكَانِهَا
 إِنَّهَا فِي زَاوِيَةٍ مِنْ سَطْحِ بَيْتِنَا
 حَيْثُ زَهْرِيَّةُ التُّوَلْسِيِّ
 لَتَصْعَدِي إِلَى هَذَا السَّطْحِ
 حِينَ تَحِينُ سَاعَةٌ ذَهَابِكَ إِلَى النَّهْرِ
 لِلِاسْتِحْمَامِ
 فَسَتَجِدُنِي جَالِسًا فِي زَاوِيَةٍ مِنْهُ
 حَيْثُ تَتَلَاشَى ظِلَالُ الْجُدْرَانِ
 وَالْهَرَّةُ وَحَدَهَا هِيَ الَّتِي أَسْمَحُ لَهَا بِمُصَاحَبَتِي

لأنَّهَا تُعْرِفُ أَيْنَ يَعِيشُ

حَلَّاقُ الْخُرَافَةِ

إِنِّي أَخْبِرُكَ يَا أُمَّهُ ، أَيْنَ يَعِيشُ

حَلَّاقُ الْخُرَافَةِ

فِي زَاوِيَةٍ مِنْ سَطْحِ بَيْتِنَا ،

حَيْثُ زَهْرِيَّةُ التُّولْسِيِّ .

أرض المنفى

يا أمّاه
لقد شحّب النور في السماء
ولا أعرف ما هي الساعة
ولقد خلّت لعتبي من المتعة
فجئتُ إليك
إنه السبت ، يوم عيدنا
با أمّاه ، كفي عن العمل
واجلسي إلى النافذة
وقصّي عليّ أين توجد صحراء تبتار
إن ظلّ المطر
قد غطّى النهار كله
والبرق يمزق السماء بمخاليه الوحشية
وعندما تدمدم الغيوم وترعد

فإنه يروق لي الارتجاف خوفاً
والتعلق بصدرك بقوة
وعندما يسقط المطر بغزارة
فوق أوراق البامبو
وترتجف النوافذ وترتعش
تحت عصف الرياح
يروق لي أن أجلس إليك ، والبقاء معك
وحدي ، وأصغي إليك تتحدثين
عن صحراء تبتار الخرافية
ترى أين هي يا أمّاه
على شواطئ أي بحر؟
وفي سفوح أي الهضاب؟
وفي ممالك أي ملك؟
هناك لا توجد الأسيجة
لتمييز الحقول
وليس هناك درب يعود السكان عبره

إلى قُرَاهِمِ فِي الْمَسَاءِ
 وَلَا نَسَاءَ يَجْمَعْنَ الْحَطَبَ مِنَ الْغَابِ
 وَيَحْمِلْنَهُ إِلَى السُّوقِ
 بَقَعَ مِنَ الْعُشْبِ الْأَصْفَرِ الْمُتَنَاثِرَةِ فَوْقَ الرَّمْلِ
 وَشَجَرَةٌ وَحِيدَةٌ يُعَشِّشُ فِيهَا زَوْجَانِ
 مِنَ الطُّيُورِ الْحَكِيمَةِ
 هُنَاكَ تَمْتَدُّ صَحْرَاءُ تَبْنَتَارِ
 فِي وَسْعِي أَنْ أَتَخَيَّلَ :
 فِي يَوْمٍ غَائِمٍ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ
 كَانَ ابْنُ الْمَلِكِ يَعْبُرُ
 دَرْبًا رَمَادِيًّا ، مُمْتَطِيًّا صَهْوَةَ جَوَادِهِ
 يَجْتَازُ بِهِ الصَّحْرَاءَ وَحْدَهُ
 بَحْثًا عَنِ الْأَمِيرَةِ
 الْأَسِيرَةِ فِي قَصْرِ الْمَارِدِ الْعِمْلَاقِ
 فِيمَا وَرَاءَ الْبَحْرِ الْمَعْرُوفِ
 وَعِنْدَمَا تَهَيَّطُ ظُلْمَةُ الْمَطَرِ

من السماء البعيدة
ويجرح البرق فجأة السماء
كوخزة الألم الحاد الخاطف
أترأه يفكر في أمه البائسة
التي هجرها الملك ، وحكم عليها
بتنظيف الحظيرة ، بينما ابنها
يجوب الصحراء بجواده
انظري يا أمه ، إنها الظلمة تقريبا
قبل أن يهبط المساء
ليس هناك مسافر
في طريق القرية
وقد عاد الراعي الصغير إلى بيته
من المرعى ، مبكرا
والفلاحون تركوا الحقول
وجلسوا أمام أكواخهم
يرقبون الغيوم المتوعدة

لَقَدْ تَرَكْتُ كُلَّ كُتَيْبٍ فَوْقَ الرَّفِّ
فَلَا تَطْلُبِي مِنِّي يَا أُمَّاهُ ، أَنْ أُؤَدِّيَ دُرُوسِي الْآنَ
فَحِينَ أَكْبَرَ وَأَصِيرُ مِثْلَ أَبِي
فَإِنِّي سَوْفَ أَتَعَلَّمُ مَا يَنْبَغِي تَعَلُّمَهُ
وَلَكِنِ الْيَوْمَ
قُصِّي عَلَيَّ يَا أُمَّاهُ
أَيْنَ تُوجَدُ صَحْرَاءُ تَبْنَتَارِ

اليوم المطير

غُيُومٌ كَثِيفَةٌ تَتَجَمَّعُ بِسُرْعَةٍ
عِنْدَ طَرْفِ الْغَايَةِ الْمُظْلِمِ
يَا طِفْلِي ، لَا تَخْرُجْ ، لَا تَخْرُجْ
إِنْ أَشْجَارَ النَّخِيلِ الْمُصْطَفَى
عَلَى ضِيفَةِ الْبُحَيْرَةِ
تَهْزُ جَرِيدَهَا فِي وَجْهِ السَّمَاءِ الْمَكْفَهَرَةِ
وَالْغُرَبَانَ بِأَجْنِحَتَيْهَا الْمُطَّخَةِ بِالْوَحْلِ
تَلَازِمُ الصَّمْتِ فَوْقَ أَشْجَارِ تَمَرِ الْهِنْدِ
وَالضِيفَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ النَّهْرِ
قَدْ دَاهَمَتْهَا ظُلْمَةٌ دَاجِيَةٌ
وَالْبَقْرَةَ الْمَشْدُودَةَ إِلَى الْوَتْدِ الْجَافِ
تَخُورُ خُورًا عَالِيًا . فَانْتَظِرْنِي
هُنَا حَتَّى أَقُودَهَا إِلَى الْحَظِيرَةِ

إن الناس يتجمعون في الحقول المغمورة بالمياه
 ليقبضوا بأيديهم على الأسماك
 الخارجة من الغدران الطافحة
 ومياه المطر تجري في جداول
 عبر الدروب الضيقة
 وتختني كطفل مرح يعايب أمه
 بمراوغته واختفائه.
 اصنع، إن أحداً يهتف بصاحب
 القارب عند معاير النهر
 يا طفلي، إن النور يربد
 وطريق العبور مسدود في وجه القارب
 إنه ليبدو أن السماء تركض في جموح
 فوق المطر المتساقطة بعنف
 ومياه النهر تهدر بصبر نافذ
 والنساء يسرعن الخطو
 عائدات من نهر الكنج، بجرارهن المأوى
 علينا إعداد الفوانيس

فلا تَخْرُجْ يا طِفْلِي، لا تَخْرُجْ
إِنَّ طَرِيقَ السُّوقِ مَهْجُورَةٌ
وَدَرَبُ النَّهْرِ زَلَقَةٌ
وَالرِّيحُ تَنْفَلَتْ
بَيْنَ أَغْصَانِ البَّامْبُو وَتَعْوِي
مِثْلَ حَيَّوانٍ وَحْشِيٍّ
وَقَعَ فِي الشَّبَكَةِ

زوارق الورق

كُلَّ يَوْمٍ
أَعُوْمُ زَوَارِقِي الْوَرَقِيَّةِ
وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى
فِي مَجْرَى النَّهْرِ
وَأَكْتُبُ فَوْقَهَا اسْمِي
وَاسْمَ قَرْيَتِي
بِأَحْرَفِ سَوْدَاءٍ كَبِيرَةٍ
وَالْأَمَلُ يَحْدُونِي بِأَنْ يَعْثُرَ عَلَيْهَا
بَعْضُ النَّاسِ
فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ الْغَرِيبَةِ
فَيَعْرِفُ مَنْ أَنَا

إِنِّي أُوسِقَ زَوَارِقِي
بِزُهُورِ الشَّبُوبِي الَّتِي أَقْتَطِفُهَا مِنْ حَدِيقَتِنَا
وَيَحْدُونِي الْأَمَلُ
أَنَّ تُثْقَلَ زُهُورُ الصَّبَاحِ هَذِهِ
إِلَى بَلَدِ النَّوْمِ
لِنِّي أَدْفَعُ بِزَوَارِقِي الْوَرَقِيَّةِ
وَأَرْقُبُ فِي السَّمَاءِ سَحْبًا
تَنْشُرُ أَشْرَعَتَهَا الْبَيْضَاءَ
لَا أَدْرِي أَيَّ رَفِيقٍ مِنْ رُفَقَاءِ الْعَابِي
هُنَاكَ فِي السَّمَاءِ
يَبْعَثُ بِهَا فِي الْجَوِّ لُتْنَانِسَ زَوَارِقِي الصَّغِيرَةَ
وَحِينَ يَهْبِطُ اللَّيْلُ
أَدْفِنُ رَأْسِي بَيْنَ ذِرَاعِيَّ
وَأَحْلُمُ بِأَنَّ زَوَارِقِي الْوَرَقِيَّةِ

تَمْخُرُ تَحْتَ النُّجُومِ
وَتَرَحَّلُ فَوْقَهَا جِنِّيَاتُ النَّوْمِ
بِأَوْسَاقِهَا مِنَ السَّلَالِ الْمَلَأَى بِالْأَحْلَامِ

البحار

زورق الملاح ماد هو
راس في مرفأ راجيكوني
وهو محمل بالقنب . دون جدوى
فقد كان القارب راسياً مكانه منذ أمد بعيد
لو أجر لي زورقه
لجهزته بالمجاديف
والأشعة ، خمسة ، ستة أو سبعة
ولن تكون وجهتي صوب الأسواق المعتادة
فاني أرغب في أن أجتاز البحار السبعة
والأنهار الثلاثة عشر ، من البلد المسحور
أماه ، لا ... لا تبك
لا تبك من أجلي في الخفاء
فلن أرحل مثل (راما شاندرام)

إلى الغاب ، لأعود بعد أربعة عشر عاماً
 سأكون أمير الأسطورة
 وأملأ زورقي بكل ما أريد
 وسأحمل معي صديقي آشو
 ونجتاز البحار السبعة
 والأشهر الثلاثة عشر من البلد المسحور
 سنبحر عند الفجر
 وحين تستجيب في الغدير في منتصف النهار
 سنكون في بلد ملك أجنبي
 وسنعبّر وادي (تيربوري)
 ونترك وراءنا صحراء تبتار
 وحين نعود
 يكون الليل قد خيم
 وسأقص عليك
 كل ما رأينا
 ونحن نجتاز البحار .
 والأشهر الثلاثة عشر...

الضفة الأخرى

في نَفْسِي رَغْبَةٌ لِلذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ
حَيْثُ ضِفَّةُ النَّهْرِ الأُخْرَى
حَيْثُ يَرْسُو ذَلِكُ الصَّفُّ مِنَ القَوَارِبِ
المَشْدُودِ إِلَى أعْوَادِ البَامِبُو
حَيْثُ الرُّجَالُ يَخْرُجُونَ صَبَاحًا بِزَوَارِقِهِمْ
وَقَدْ حَمَلُوا مَجَارِيثَهُمْ فَوْقَ أَكْتَافِهِمْ
لِلْعَمَلِ بِحُقُولِهِمُ البَعِيدَةِ
وَحَيْثُ الرِّعَاءُ يَدْفَعُونَ قُطْعَانَ البَقَرِ
لِخَوْضِ المِيَاهِ نَحْوِ المَرَاعِي الخَضْرَاءِ
المُتَدِّدَةِ عَلَى طُولِ ضِفَّةِ النَّهْرِ
وَيَعُودُونَ مَسَاءً
تَارِكِينَ الذَّنَابَ تَعْوِي فِي الجَزِيرَةِ المَغْطَاةِ
بِأَشْجَارِ الأَسَلِ

يا أمّاه ، حين أكَبِرُ
 أريدُ أن أكون مَلاحَ مِعْبَرٍ
 إذا كان هذا لا يُشِيرُ ضيقك
 يقولون أن هناك غُدْراناً غَريبَةً
 مُخْتَفِيَةً خَلْفَ الهَضْبَةِ
 حيثُ أسرابُ من البَطِّ الوَحْشي
 تأتي عند نِهايَةِ المَطَرِ
 وأشجارُ الأَسَلِ تنمو كثيفةً
 حول فِسائِلِ القَصَبِ حيثُ الطيورُ المائِيَّةُ
 تَضَعُ بيضَها
 وحيثُ يُخَلِّفُ الدِجَاجُ
 بذِبولِهِ المَرْتَعِشَةَ
 آثارَ بَرائِنِهِ الصَّغِيرَةِ
 فوق الوَحْلِ النَّاعِمِ النَّظِيفِ
 وحيثُ ، عِندَ المَساءِ تَدَعُو الأَعْشَابُ العالِيَةُ
 المَتزِينَةُ بِزُهورِها البِيضاءِ
 شُعاعَ الفَجْرِ

لِيَسْتَرِيحَ فَوْقَ تَمُوجَاتِهَا.
 يَا أُمَّاهُ ، حِينَ أَكْبَرُ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ مَلَا حِ مِعْبَرٍ
 إِذَا كَانَ هَذَا لَا يُضَايِقُكَ
 سَأَجْتَازُ النَّهْرَ الْعَظِيمَ
 جَيْئَةً وَذَهَابًا
 مِنْ ضِيفَةٍ إِلَى أُخْرَى
 وَكُلُّ الصَّبِيَّانِ وَالصَّبَايَا
 بِالْقَرْيَةِ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِإِعْجَابٍ
 حِينَ يَغْتَسِلُونَ فِي النَّهْرِ
 وَحِينَ تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ إِلَى كِبِدِ السَّمَاءِ
 وَالصَّبَاحُ يَنْتَقِلُ إِلَى الضُّحَى
 سَأَهْرَعُ إِلَيْكَ هَاتِفًا
 يَا أُمَّاهُ إِنِّي جَائِعٌ
 سَأَعُودُ حِينَ يَنْتَهِي النَّهَارُ
 وَيُخِيمُ الظِّلُّ بَيْنَ الأشْجَارِ
 لَنْ أَبْعَدَ عَنْكَ
 وَلَنْ أَرْحَلَ لِلْعَمَلِ بِالْمَدِينَةِ مِثْلَ أَبِي

يا أمّاه حين أكبر أريد أن أكون ملاح معبر
إذا كان هذا لا يضايقك

مدرسة الزهور

حِينَ تَتَوَجَّعُ الْغُيُومُ الْعَاصِفَةُ
الْقَاتِمَةُ ، فِي السَّمَاءِ
وَتَهْطَلُ أَمْطَارُ يُونِيُو بَغْزَارَةٍ
فَإِنْ رِيحَ الشَّرْقِ النَّدِيَّةِ
تَرْحَفُ فَوْقَ الْأَرْضِ الْجَرْدَاءِ
لِتَعْرِفَ أَبْوَاقَهَا بَيْنَ قَصَبِ
شَجَرِ الْبَامْبُو
حِينَئِذٍ ، تَظْهَرُ فَجَاءَةٌ ، وَمِنْ حَيْثُ
لَا يَدْرِي أَحَدٌ ، حُشُودٌ مِنَ الزَّهْوَرِ
وَتَأْخُذُ فِي الرَّقْصِ بِبَهْجَةٍ مَجْنُونَةٍ
فَوْقَ الْأَرْضِ النَّدِيَّةِ .
أُمَاهُ . إِنْ أَعْتَقِدُ حَقًّا أَنَّ الزَّهْوَرَ
تَذْهَبُ ، إِلَى مَدْرَسَةِ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ

وَتَلَقَى دُرُوسَهَا وَرَاءَ أَبْوَابِ مُقْفَلَةٍ
 وَإِذَا أَرَادَتْ الْخُرُوجَ إِلَى اللَّعِبِ
 قَبْلَ الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ ، فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ
 يَعَاقِبُهَا وَيُؤَنِّبُهَا
 وَهِيَ تَسْتَمِيعُ بِعُطْلَتِهَا فِي فَصْلِ الْأَمْطَارِ .
 وَفِي الْغَابَةِ حِينَ تَتَنَاطَحُ الْأَغْصَانُ
 مَعَ الرِّيحِ الْوَحْشِيَّةِ
 وَالْأَوْرَاقُ تُرْسِلُ حَفِيفُهَا .
 وَغَيُومُ الرَّعْدِ تَضْرِبُ أَيْدِيهَا الْعِمْلَاقَةَ
 فَإِنَّ صَغَارَ الزُّهُورِ تُسْرِعُ
 إِلَى الْخُرُوجِ بِأَثْوَابِ حُمْرَاءَ وَصَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ
 أَتَدْرِينَ يَا أُمَّهُ ، أَنَّ بَيْتَهَا فِي السَّمَاءِ ، حَيْثُ تَوْجَدُ النُّجُومُ
 أَلَا تَرِينَ قَلَقَهَا الْبَادِيَ لِلذَّهَابِ
 إِلَى هُنَاكَ ، فِي الْأَعَالِي ؟
 إِنَّكَ لَا تَعْرِفِينَ سَبَبَ هَذِهِ الْعَجَلَةِ
 إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أُخَمِّنَ لِمَنْ تَمُدُّ

أذرعها؟
إن لها أيضاً أمّاً مثل أمي

التاجر

تَصَوَّرِي يَا أُمَّاهُ
أَنَّ عَلَيكَ الْبَقَاءَ فِي الْبَيْتِ
وَإِنَّهُ يَنْبَغِي لِي السَّفْرُ إِلَى بُلْدَانِ غَرِيبَةٍ
وَتَصَوَّرِي أَنَّ سَفِينَتِي جَاهِزَةٌ بِالْمَرْفَأِ
فَكَّرِي جَيِّدًا ، يَا أُمَّاهُ ، قَبْلَ أَنْ تُفْضِي
بِمَا تُرِيدِينَ أَنَّ أَحْمِلَهُ إِلَيْكَ عِنْدَ عَوْدَتِي
أُمَّاهُ ، إِنَّكَ تُرِيدِينَ أَكْوَامًا كَثِيرَةً مِنَ الذَّهَبِ
هُنَاكَ عِنْدَ ضِيْفَانِ الْأَنْهَارِ الْمُدْهَبَةِ
تَمْتَلِيءُ الْحُقُولُ بِالْحَصَادِ الذَّهَبِيِّ الصَّافِي
وَفِي ظِلِّ الْغَابَةِ فَإِنَّ أَزْهَارَ الشَّامِبَا
الْمُدْهَبَةِ تَسَاقُطُ فَوْقَ الْأَرْضِ

سَأَجْمَعُهَا كُلُّهَا لَكَ فِي مِثَاتِ السُّلَالِ
أُمَّاهُ ، أَتَرْغَبِينَ فِي اللَّالِيءِ الْكَبِيرَةِ
الَّتِي تُشْبِهُ قَطْرَاتِ أَمْطَارِ الْخَرِيفِ ؟
سَأَذْهَبُ إِلَى جَزِيرَةِ اللَّالِيءِ
فَهُنَاكَ ، وَفِي نُورِ الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ
تَرْتَجِفُ اللَّالِيءُ فَوْقَ زُهُورِ الْمَرَاعِي
وَبَعْضُ اللَّالِيءِ الْبَرَّاقَةِ تَسْقُطُ فَوْقَ الْعُشْبِ
وَبَعْضُهَا يَتَنَاثَرُ فَوْقَ الرَّمَالِ
فِي زَبَدِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ .
أَمَّا أُخِي فَسَيَكُونُ لَهُ
حِصَانَانِ مُجَنَّحَانِ لِلطَّيْرَانِ
بَيْنَ الْغُيُومِ
أَمَّا أَبِي فَسَأَحْمِلُ إِلَيْهِ قَلَمًا سِحْرِيًّا
يَكْتُبُ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهِ

وإليكِ يا أمّاهِ سَوَفَ أَحْمِلُ عُلْبَةَ مُجَوَهَّرَاتِ
وَفِيهَا الْجَوْهَرَةُ الَّتِي تُسَاوِي سَبْعَ
مَمَالِكِ

مشاركة

لو كنت مجرد جرّو صغير

ولست ابنتك

يا أمّاه

هل تنهريني وترفضين أن أكل

في صبحتك الصغير؟

وتطرديني قائلة:

لتبعد، أيها الجرّو الصغير؟

إذا فعلت ذلك يا أمّاه

فلن أستجيب إليك

حين تدعينني

ولن أسمع لك أبداً

بأن تُقدّمي إليّ أيّ طعام

لو كنت ببغاء أخضر اللون
ولست ابنك
يا أمّاه العزيرة
فهل تُقيدينني
خوفاً من أن أطير بعيداً
وتهددينني بأصبعك
قائلة : أيها الطائر الجحود
عصّ قيدك ليلاً ونهاراً
إذن ، لتذهبي بعيداً يا أمّاه
إني أريد أن أختفي في الغابات
ولن أسمع لك أبداً
بأن تضميني بين ذراعيك

* * *

متفوق

يا أمّاهُ ، إن ابنتك غبيّةٌ صغيرةٌ
 وعلى درجةٍ بالغةٍ من السّداجةِ الطُّفوليّةِ
 فهي لا تعرف الفرقَ
 بين النُّجومِ ، وأضواءِ الشّوارعِ
 فإذا تظاهرنّا بأكلِ الحصى عند اللّعبِ
 فإنها تظنُّ حقاً أنّها تُوكَلُ
 وتُحاولُ أن تدفعَ بها إلى فمِها
 وإذا فتحت أمّامها كتاباً
 وطلّبتَ منها أن تقرأ حروفَ الهجاءِ
 فإنها تمزقُ الصّفحاتِ بيديها
 وتصيحُ فرحاً بلا مبررٍ
 وهذه هي الطّريقةُ التي تقوم بها طفلتك
 في تلقّي دروسها في القراءةِ

فَإِذَا صَرَخَتْ فِيهَا وَقُلْتُ لَهَا شَرِيرَةٌ
 فَإِنَّهَا تَضْحَكُ ، وَتَظْنُهَا فُكَاهَةٌ
 وَكَلْنَا نَعْرِفُ أَنْ أَبِي غَائِبٌ عَنَّا
 فَإِذَا هَتَفَتْ (يَا بَا) لَعِبًا وَلَهْوًا
 فَإِنَّهَا تَلْتَفِتُ حَوْلَهَا مُتَأَثِّرَةٌ
 وَتَظُنُّ أَنْ أَبَاهَا وَاقِفٌ بِالْقُرْبِ مِنْهَا
 وَحِينَ أُلْقِنَ حَمِيرَ الْغَسَّالِ
 الْمُحَمَّلَةَ بِالْمَلَابِسِ ، دُرُوسًا
 وَأَقُولُ لَهَا إِنِّي أَنَا الْمُعَلِّمُ
 فَإِنَّهَا تَصْرُخُ بِلا سَبَبٍ
 وَتَدْعُونِي دَادَا
 أَنْ إِبْتِكِ تُرِيدُ أَنْ تُمْسِكَ الْقَمَرَ
 وَهِيَ سَخِيفَةٌ وَتَدْعُو غَانِسَ ، غُنُوسَ
 أُمَّاهُ إِنْ إِبْتِكِ غَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ .
 وَ عَلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ سَدَاجَةِ الطُّفُولَةِ .

الرجل الصغير الكبير

أنا صغيرٌ لأنني طفٌلٌ
ولكنني سأصيرُ كبيراً مثلَ أبي
وسَيأتي مُعَلِّمي ليقولَ لي .
لقد جِئتُ متأخراً ، خذُ كُتُبَكَ وانصِرِفْ
فأقولُ له ألا تدري بأنني كبيرٌ
وأنه لا يجبُ عليَّ بعدَ اليومِ أن أتلقَى الدروسَ
وسيقولُ مُعَلِّمي في دهشةٍ واستغرابٍ
يُمكنكُ أن تتركَ كُتُبَكَ إذا أردتَ
لأنك صِرتَ كبيراً
وسأرتدي ملابسِي وأتوجَّهُ إلى السوقِ
حيثُ أكثرُ الأمكنةِ ازدحاماً بالناسِ
وسيسرعُ الخالُ ليقولَ لي :
ستضيعُ ، يا طفلي ، دعني أمسِكُ بيدَكَ

وسأجيبه ، ألا ترى يا خال
 أنني صرتُ كبيراً مثل أبي
 فعليّ إذن أن أذهب إلى السوقِ وحدي
 وسيقولُ الخالُ وهو يُحدِّقُ فيَّ
 يُمكنك أن تذهبَ حيثُ شئتَ
 لأنك صرتَ كبيراً
 وستخرجُ أمي من حمامِها
 حينَ أقدمُ إلى المربيةِ نقوداً
 لأتي أعرفُ كيفَ أفتحُ حُصالةَ النقودِ
 بمفتاحي
 وستقولُ أمي عندئذٍ
 ماذا تفعلُ أيها الشيطانُ الصغيرُ
 وأقولُ لها (أيا أمّاه ، لتعرفي
 أنني صرتُ كبيراً مثلَ والدي
 وعليّ أن أقدمَ النقودَ الفضيّةَ
 إلى المربيةِ

وستقولُ أمي لِنفسيها .
يُمكنك أن تُعطي نُقوداً لِمَن تشاءُ
لأنك صِرتَ كبيراً
وفي إجازاتِ أكتوبر
سيأتي والدي إلى البيتِ
ويظنُّ أنني مازلتُ صغيراً
وسيحملُ أبي من المدينة
أحذيةً صغيرةً وملابسَ حريريةً صغيرةً
فأقولُ له (يا أبي
إعطيها لأخي الأكبر
لأنني صِرتُ كبيراً مثلكَ
وسيفكرُ والدي في الأمرِ ثمَّ يقولُ :
يُمكنك أن تشتريَ ملابسكَ
إذا شئتَ ، لأنك صِرتَ
كبيراً .

الساعة الثانية عشرة

أُمَّهُ ، أُرِيدُ أَنْ أَكُفَّ عَنِ الدِّرَاسَةِ
لَقَدْ دَرَسْتُ طَوَالَ الصَّبَاحِ
إِنَّكَ تَقُولِينَ إِنَّهَا الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ
فَلِنَفَرِضْ أَنَّ الوَقْتَ غَيْرَ مُتَأَخَّرِ
أَتَظُنُّ أَنَّهُ الْمَسَاءُ ، فِيمَا هِيَ

الثانية عشرة

يُمْكِنُنِي أَنْ أَتَصَوَّرَ بَيَسْرٍ
أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ بَلَغَتْ
حَافَةَ حَقْلِ الأَرْزِ
وَأَنَّ صَائِدَةَ السَّمَكِ العَجُوزِ
تَجْمَعُ العُشْبَ لِطَبْخِ العِشَاءِ
قُرْبَ ضِيفَةِ الغَدِيرِ
يُمْكِنُنِي أَنْ أُغْمِضَ عَيْنِي

وَأفكرٌ في أن الظلال قد أصبحت
تتكاثفُ تحتَ شجرِ المدرِّ
ومياهُ الغديرِ
تبدو نقطةً سوداءَ لامعةً
لو أمكنَ للثانية عشرة أن تأتي
ليلاً..
لماذا لا يأتي الليل في الثانية عشرة

حِرْفَةُ الْكَاتِبِ

تَقُولِينَ أَنَّ أَبِي يَكْتُبُ أَكْدَاسًا مِنْ الْكُتُبِ
وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا يَكْتُبُهُ
لَقَدْ قُلْتُ لَكَ طَوَالَ الْمَسَاءِ
وَلَكِنْ هَلْ أَمْكَنُكَ حَقًّا أَنْ تَفْهَمِي شَيْئًا
مِمَّا يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ؟

يَا لَهَا مِنْ قِصَصٍ رَائِعَةٍ تِلْكَ الَّتِي تَرَوِينَهَا
يَا أُمَّاهُ

لِإِذَا لَا يَكْتُبُ أَبِي مِثْلَهَا
أَلَمْ يَسْمَعْ أَبَدًا مِنْ أُمَّهُ قِصَصَ الْعَمَالِقَةِ
وَالْحُورِيَّاتِ وَالْأَمِيرَاتِ؟
أَمْ نَسِيَهَا كُلَّهَا؟

غَالِبًا ، حِينَ يَتَأَخَّرُ عَنِ الْأَسْتِحْمَامِ
أَرَاكَ تُنَادِيَنِي مِئَةَ مَرَّةٍ

وتَظَلِّينَ فِي انْتِظَارِهِ ، وَتُوسِّكِينَ
بِأَوْعِيَةِ الْمَاءِ السَّاحِنِ
وَلَكِنَّهُ يَسْتَمِرُّ فِي الْكِتَابَةِ
ثُمَّ يَنْسِيَ الْاسْتِحْمَامَ

ساعي البريد الشرير

لِمَاذَا تَجْلِسِينَ فَوْقَ الْبِلَاطِ
هَادِئَةً ، سَاكِتَةً ، يَا أُمَاهُ؟
وَالْمَطَرُ يَنْفُذُ مِنَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ
فِيبَلِّلُكَ ، دُونَ أَنْ تَكْتَرِي بِذَلِكَ
أَلَا تَسْمَعِينَ دَقَاتِ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ؟
إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي يَعُودُ فِيهَا أَخِي مِنَ الْمَدْرَسَةِ
مَا الَّذِي حَدَثَ لَكَ. وَلِمَاذَا أَنْتِ
غَرِيبَةٌ الْأَطْوَارِ
أَلَمْ يَكْتُبْ لَكَ أَبِي الْيَوْمَ رِسَالَةً؟
لَقَدْ رَأَيْتُ سَاعِي الْبَرِيدِ يَحْمِلُ
فِي حَقِيْبَتِهِ رِسَائِلَ لِأَغْلَبِ سُكَّانِ الْبَلَدَةِ
وَلَكِنْ رِسَائِلَ أَبِي يَبْدُو أَنَّهُ يَحْتَفِظُ بِهَا لِنَفْسِهِ
إِنِّي لَعَلِّي يَقِينُ بِأَنَّ هَذَا السَّاعِي رَجُلٌ

سَيِّءٌ

ولكن لا تحزني لذلك ، يا أمّاه
غدا هو يوم السوق ، في القرية
فابعثي الخادمة لكي تشتري ورقاً وقلماً
فسوف أكتبُ لكِ ، أنا. رسائل أبي
ولن تجدي خطأ واحداً فيها
سأكتبها كلها من الألف الى الياء
ولكن لم تبسمين؟ يا أميمة.
ألا تصدّقي ، أنني قادرٌ على أن أكتبَ كتابةً جيّدةً
كما يفعلُ أبي؟

سوف أسطر الورق تسطيراً دقيقاً
وأكتب كلّ الكلمات بحروفٍ كبيرةٍ جميلةٍ
وحين أنهي رسالتي الصغيرة
فلا تفكّري في أنني سأكونُ من الغباء
بحيث أودعها ، كما يفعلُ أبي
تلك الحقيبة المفزعة

التي يَحْمِلُهَا سَاعِي الْبَرِيدِ
سَأَحْمِلُهَا إِلَيْكَ بِنَفْسِي دُونَ تَبَاطُؤِ
وَأَقْرَأُهَا لَكَ كَلِمَةً ، كَلِمَةً
إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّ السَّاعِي لَا يَجِبُ
أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْكَ الرَّسَائِلَ الْجَمِيلَةَ
حَقًّا

البطل

يَا أُمَّاهُ ، لِتَتَصَوَّرَ أَنَّنَا نَتَأَهَّبُ لِلرَّحِيلِ
إِلَى بَلَدٍ مَجْهُولٍ غَرِيبٍ مَحْفُوفٍ بِالْمَخَاطِرِ وَالْأَهْوَالِ
أَنْتَ رَاحِلَةٌ فَوْقَ هُودَجِكَ
وَأَنَا أَرْكُضُ فَوْقَ مُهْرِي الْأَحْمَرِ إِلَى جِوَارِكِ
وَالْوَقْتُ مَسَاءٌ ، وَالشَّمْسُ تَمِيلُ لِلْغُرُوبِ
وَمَرُوجِ (جِوَارِدِي) رَمَادِيَّةٌ وَاهِنَةٌ
وَالْأَرْضُ جَافَةٌ وَمَوْحِشَةٌ
وَأَنْتِ قَدْ شَعَرْتِ بِالْخَوْفِ ، وَأَخَذْتِ فِي التَّفْكِيرِ وَالسُّؤَالِ
لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ وَصَلْنَا ؟
فَأَجِيبِي يَا أُمَّاهُ لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي .
وَالسَّهْلُ مُغَطَّى بِالْأَعْشَابِ الْوَاحِزَةِ
وَالطَّرِيقُ ضَيِّقَةٌ وَمُنْعَزَلَةٌ
وَلَا تَشَاهِدُ الْقُطْعَانَ فِي الْحُقُولِ

فقد عادت كُلُّهَا إلى حَظَائِرِهَا
 وَالظُّلْمَةَ تَسُودُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ
 وَنَحْنُ لَا نَدْرِي وَجْهَتَنَا عَلَى التَّحْدِيدِ
 وَفَجْأَةً تَهْتِفِينَ بِي ، وَتَسْأَلِينَي هَمْسًا
 أَيُّ نُورٍ هَذَا الَّذِي يَتَلَأُّ هُنَاكَ
 قُرْبَ الْهَضْبَةِ؟
 وَحِينَئِذٍ يَسْمَعُ صَرَخٌ مُخِيفٌ
 وَبَعْضُ الشُّخُوصِ تَهْبُ مُسْرِعَةً نَحُونَا
 وَأَنْتِ جَالِسَةٌ فَوْقَ هَوْدَجِكَ
 وَتَصِلِينَ مُرَدَّةَ جَمِيعِ أَسْمَاءِ الْآلِهَةِ
 وَيَرْتَجِفُ الْحَمَّالُونَ مِنَ الْخَوْفِ
 وَيُخْتَفُونَ بَيْنَ الْأَدْغَالِ الشَّاكَّةِ
 وَأَصْرُخُ فِيكَ أُمَّاهُ لَا تَخَافِي .. إِي هُنَا
 وَسَادَفُ عَنَّا
 وَبِأَيْدِيهِمْ عِصِيٌّ طَوِيلَةٌ
 وَشَعُورٌ مَنفُوشَةٌ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
 يَقْتَرِبُونَ مِنَّا

فأصْرِحُ فيهِمْ ، احترسوا أيها الأندالُ
 فإذا تقدّمتمْ خُطوةً أُخرى
 فسيكونَ مصيرَكم الموتُ
 ويُرسِلونَ صرْحَةً أُخرى
 ويندفعونَ إلى الأمامِ
 وتُمْسِكينَ أنتِ بيدي
 يا طفلي العزيز ، أسألكِ بحقِّ
 السَّماءِ أنْ تبتعدَ عنهم
 وأقولُ لَكَ يا أُمّاهُ (... راقبي
 ما أفعل)
 ثم أدفعُ جوادي في رُكْضَةِ جَموحِ
 والسيفِ والترسِ يُقعِّعانِ
 والمَعْرَكَةِ رهيبَةً جدًّا
 قد تبعثُ في أطرافِكِ الإرتعاشاتِ الباردةِ
 لو رأيتها من فوقِ
 ويهربُ الكثيرُ منهم

وَيُضْحِي بَعْضُهُمْ أَشْلَاءَ مَمْرَقَةٍ
وَأَعْرِفُ أَنَّكَ تُفَكِّرِينَ وَأَنْتِ
جَالِسَةٌ مُنْفَرِدَةٌ ، أَنْ ابْنَكَ
قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِ
وَلَكِنِّي أَجِئْتُكَ ، مَخْضِبًا بِالِدَّمَاءِ
وَأَقُولُ لَكَ يَا أُمَّاهِ ، لَقَدْ انْتَهتِ الْمَعْرَكَةُ
فَتَخْرِجِينَ إِلَيَّ وَتُقْبَلِينِي وَتَضْمِينِي
إِلَى قَلْبِكَ
وَتَقُولِينَ وَأَنْتِ تَتَحَدَّثِينَ إِلَى نَفْسِكَ
لَا أَدْرِي مَا كَانَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْعَلَ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي ابْنٌ يَحْرُسُنِي
فِي كُلِّ يَوْمٍ تَقَعُ آلَافُ الْحَوَادِثِ
الَّتِي لَا جَدْوَى مِنْهَا .
لِمَاذَا لَا يُصْبِحُ مِثْلَ هَذَا الْخِيَالِ حَقِيقَةً ؟
سَتَكُونُ مِثْلَ أَقَاصِيصِ الْكُتُبِ
وَيَقُولُ أَخِي ... أَهَذَا مُمَكِّنٌ ؟

كنتَ أظنُّكَ ضعيفاً .
وفي القرية يقولُ الجميعُ في دهشةٍ
أليس من حُسْنِ الحَظِّ
(أنَّ الطفلَ كَانَ معَ أمِّهِ)

النهاية

لقد حانتُ ساعةُ الرَّحيلِ ، يا أمَّاهُ .
وإني أتأهَّبُ للرَّحيلِ
وعِندَ الظَّلْمَةِ التي تَشْحُبُ عِندَ الفَجْرِ الوَلِيدِ
تمدِّينِ ذِراعِكِ في الفراشِ
بِحُثًّا عن طِفْلِكَ الصَّغِيرِ
فَسَوْفَ أَقُولُ لَكَ
أَنَّ الطِّفْلَ غَيْرَ مُوجُودٍ ، يا أمَّاهُ
وإني أتأهَّبُ للرَّحيلِ
سَأَصِيرُ تياراً واهناً مِنَ الهَوَاءِ
وسأداعِبُكَ
وسأصيحُ موجاتِ صَغِيرَةٍ في الماءِ
وحينَ تَسْتَحِمِّينِ فيه
فَسَوْفَ أَقْبِلُكَ وَأَعاودُ التَّقْبِيلَ

وفي ليالي العاصفة
 حين تسقط الأمطار فوق الأوراق
 ستصغين إلى هامساً في سريرك
 وبريق ضحكتي
 سيدخل في غرفتك مع أضواء البرق
 عبر النافذة المفتوحة
 وإذا سهرت إلى ساعة متأخرة من الليل
 مفكرة في طفلك
 فسوف أغنيك من فوق النجوم
 ترنيمه... نامي يا أميمة
 وسأحط خلسة فوق سريرك
 مع أشعة القمر الشاردة
 وسأستريح في أحضانك
 بينما أنت مستغرقة في النوم
 سأصبح حلماً ، وأتسلل إلى أعماق نومك
 عبر أجفانك
 وحين تستيقظين

وتتفقدين ما حولك
خائفةً مرتجفةً
فإني أحلقُ هارباً في الظلام
مثلَ الحُبابِ الصَّغيرِ الضئيلِ
وحينَ يجري الاحتفالُ الكبيرُ
بعيدِ (بوجا)
ويأتي أبناءُ الجيرانِ للعبِ
حولَ البيتِ
فإني سأمتزجُ بألحانِ النايِ
وأنبضُ طوالَ النهارِ في قلبِكَ
ستأتي الخالةُ الصَّغيرةُ بهذا يا العيدُ
وتسألكَ ، يا أختاه ، أينَ طفلنا
فستقولين لها في لطفٍ ، يا أمَّاهُ
إنه في بويءِ عينيَّ
وفي جسدي ، وفي قلبي .

النداء

عندما رَحَلْتُ
كانت الليلة مُظْلِمَةً
وكانوا يَنَامُونَ
وما تزال الليلة مُظْلِمَةً
حينَ نادَيْتُهَا
عُودِي يَا حَبِيبَتِي
إِنَّ الْكَوْنَ نَائِمٌ ،
ولن يَدْرِي أَحَدٌ بِكَ
إذا عُدْتِ إِلَيَّ بِرُهَةٍ وَاحِدَةٍ
فإن النُّجُومَ تُحَدِّقُ فِي النُّجُومِ .
عندما رَحَلْتُ
كانت الأشجار تُزْهِرُ

والربيعُ في ريعانه
والآن، كلُّ الأزهار تفتحت
وأنا أدعوها
عودي يا حبيبي .
إن الأطفال يجمعون الأزهار ويشرونها
في لعبة عابثة
فإذا عدت
وأخذت زهرة
فلن يفطن لذلك أحد
فالذين اعتادوا اللعب
ما يزالون غارقين فيه
هكذا، هي الحياة
وأسمعُ ثرثرتهم
فأهتف
عودي يا حبيبي .

إِنْ قَلْبَ الْأُمِّ يَطْفَحُ بِالْحُبِّ
فَإِذَا عُدَّتِ وَانْتَرَعَتْ مِنْهَا
قُبْلَةً صَغِيرَةً وَاحِدَةً
فَلَنْ تُثِيرَ حَسَدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ . .

الياسمينات الأولى

آه، هذه الياسمينات
هذه الياسمينات البيضاء
تعيدُ إلى ذِكْرِي اليَوْمِ الأولِ
الذي ملأتُ فيه كَفِّي
بهذه الياسمينات
الياسمينات البيضاء
لقد أَحْبَبْتُ نُورَ الشَّمْسِ
وكانت السَّماءُ خَضْرَاءَ
والأَرْضُ كُلُّهَا خَضْرَاءَ
وأصغَيْتُ إلى خَرِيرِ النَّهْرِ
في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ
أما أصَائِلُ الخَرِيفِ

فقد جَاءَت لَا سِتْقَبَالِي
فِي أَقْصَى مُنْعَطَفَاتِ الطَّرِيقِ
مِنَ الْأَرْضِ الْمَهْجُورَةِ
كَأَنَّهَا عَرُوسٌ
تَرْفَعُ خِمَارَ ثَوْبِ عُرْسِهَا
لِكَيْ تُقْبَلَ حَبِيبَهَا
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ ذِكْرِي
الْيَاسْمِينَاتِ الْأُولَى الْبِيضَاءِ
الَّتِي وَضَعْتَهَا فِي يَدِي
حِينَ كُنْتُ طِفْلاً
مَا تَزَالُ حُلُوةَ عَذْبَةٍ
لَقَدْ نَعِمْتُ بِأَيَّامِ عَدِيدَةٍ هَانِئَةٍ
فِي حَيَاتِي
وَضَحِكْتُ مَعَ أَصْدِقَاءِ مُبْهَجِينَ
فِي لَيَالِي الْعِيدِ

وفي الأيام الرمادية الممطرة .

غَنَيْتُ أَغْنِيَاتِ خَامِلَةٍ

وَطَوَّقْتُ عُنُقِي

بِعِقْدٍ (بَاكُولَا)

الذي ضَفَرَتْهُ يَدُ الْمَوْتِ

ومع ذلك

فإن الذكرى ما تزالُ

حُلْوَةً عَذْبَةً

لِتِلْكَ اليَاسْمِينَاتِ . . البَيْضَاءِ الأُولَى

التي ضَمَمْتُهَا بِيَدِي

عِنْدَمَا كُنْتُ طِفْلاً صَغِيراً . . .

شجرة البنيان

يا شجرة البنيان
ذات الأطراف المهملة
القائمة عند ضيقة الغدير
لقد نسيت الطفل الصغير
مثل نسيانك الطيور التي حطت فوقك
وصنعت أوكارها
بين أغصانك ، ثم طارت عنك
وهجرتك؟

ألا تذكرين كيف كان يجلس إلى النافذة
ملاحظاً في دهشة
تشابك جذورك التي تغوص
في أعماق الأرض .
النساء يذهبن لملء الجرار

عند الغدير
وظلُّكِ الأسودُ الهائلُ
يتلوى فوق الماءِ مثلِ نَعَّاسٍ
يقاومُ من أجلِ اليقظةِ .
وضوءُ الشمسِ
يرقصُ فوقَ الأمواجِ
مثلِ مكوكاتِ صغيرةٍ غيرِ مُستقرَّةٍ
تنسجُ ديباجاً مذهباً .
وبطَّانٍ تسبحانِ في الغديرِ
قربَ الضِّفَّةِ المغطَّاةِ بالأسلِ
والطفُّلُ يجلسُ صامتاً مُستغرقاً في التفكيرِ
يتمنى أن يكونَ ريحاً
تُصفرُ بينَ أغصانكِ الهفَّافةِ
أن يكونَ ظلاً يمتدُّ معَ النهارِ
فوقَ الماءِ
أن يكونَ عُصفوراً يحطُّ فوقَ أعلى الغُصونِ

وَأَنْ يَسْبَحَ مِثْلَ ذَلِكَ الْبَطِّ
بَيْنَ الْأَثَلِ وَالظُّلَالِ...

مباركة

لِتُبَارِكْ هَذَا الْقَلْبَ الصَّغِيرَ
هَذِهِ الرُّوحَ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَسَبَتْ
قُبْلَةَ السَّمَاءِ لِأَرْضِنَا
إِنَّهُ يُحِبُّ نُورَ الشَّمْسِ
وَيُحِبُّ رُؤْيَةَ وَجْهِ أُمِّهِ
وَلَمْ يَتَعَلَّمْ بَعْدُ كَيْفَ يَحْتَقِرُ التُّرَابَ
وَلَمْ يَتَلَقَّنْ شَهْوَةَ الْحُصُولِ عَلَى الذَّهَبِ
فَضَّمَهُ إِلَى قَلْبِكَ وَبَارَكَهُ
لَقَدْ جَاءَ إِلَى هَذَا الْبَلَدِ
حَيْثُ تَتَقَاعَمُ مِثَاتُ الطَّرِيقِ
وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ اخْتَارَكَ مِنْ بَيْنِ الْجُمُوعِ الْحَاشِدَةِ

وَجَاءَ إِلَى بَابِكَ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِكَ
إِنَّهُ سَيَتَّبِعُكَ ضَاحِكًا
وَقَدْ خَلَا قَلْبُهُ مِنْ أَيِّ شَكٍّ
فَلْتَحْفَظْ لَهُ ثِقَّتَهُ فِيكَ
وَلتَقُدِّهِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ
وَلتُبَارِكْهُ
وَضَعْ يَدَكَ فَوْقَ رَأْسِهِ
وَلتُصَلِّ مِنْ أَجْلِهِ
حَتَّى إِذَا ثَارَتِ الْأَمْوَاجُ مِنْ تَحْتِهِ
فَإِنَّ الرِّيحَ مِنْ فَوْقِهِ تَنْفُخُ أَشْرَعَتَهُ
وَتُدْفَعُهُ إِلَى مَرَفَاتِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ
وَفِي اسْتِعْجَالِكَ
لَا تَنْسَهُ
وَدَعَهُ يَقْتَرِبُ مِنْ قَلْبِكَ
وَبَارِكْهُ

رَغَبَاب

حِينَ يَدُقُّ الطَّبْلُ العَاشِرَةَ صَبَاحاً
 أُسِيرُ نَحْوَ المَدْرَسَةِ
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ
 أَقَابِلُ فِي طَرِيقِي بَائِعاً مُتَجَوِّلاً يَهْتَفُ :
 أُسُورَةَ ، أُسُورَةَ بَلُورِيَّةً
 لَا شَيْءَ يَدْفَعُهُ إِلَى العَجَلَةِ
 وَلَيْسَ هُنَاكَ طَرِيقٌ يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ سُلُوكُهَا
 وَلَا مَكَانٌ يَتَحْتَمُّ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ
 وَلَا سَاعَةٌ مُحَدَّدَةٌ يَعُودُ فِيهَا إِلَى بَيْتِهِ
 أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ بَائِعاً مُتَجَوِّلاً
 وَأَنْ أَهْتَفُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الشَّارِعِ
 أُسُورَهُ ، أُسُورَةَ بَلُورِيَّةً ،
 وَفِي الرَّابِعَةِ مَسَاءً

حين أعودُ من المدرّسة إلى بيتي
 أرى عبرَ البوّابةِ
 بُستانياً يعزّقُ الأرضَ
 وهو يفعلُ بمِسْحَاتِهِ ما شاءَ
 ويلطّخُ أثوابَهُ بالترابِ
 ولا أحدٌ يلومه أو يعنّفه
 إذا لفحّتهُ الشمسُ، أو قرّرَ الإستِحمامَ
 أريدُ أن أكونُ بُستانياً
 أعزّقُ الحديقةَ طولَ اليومِ
 دونَ أن يُوقفني أحدٌ
 وما تكاد تهبطُ الظلّمةُ في المساءِ
 وتدعوني أمي إلى النومِ
 أرى عبرَ النافذةِ
 حارساً يدرعُ الطريقَ جيئةً وذهاباً
 الطريقُ مهجورةٌ ومُظلمةٌ
 والفانوسُ قائمٌ مُستقيمٌ كأنه عملاق

بِعَيْنِ حَمْرَاءَ وَاحِدَةٍ فِي رَأْسِهِ
وَيَهْزُ الْحَارِسَ الْفَانُوسَ
وَيَسِيرُ إِلَى جَانِبِ ظِلِّهِ
وَلَا يَذْهَبُ لِلنَّوْمِ طِوَالَ الْحَيَاةِ
أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَارِسًا
وَأَذْرُعَ الشُّوَارِعِ لَيْلًا
جِيئَةً وَذَهَابًا
وَأَطْرِدَ الظُّلَالَ بِمِصْبَاحِي

الهدية

أريدُ أن أعطيكَ شيئاً، يا بُنيَّ .
نظراً إلى أننا ننساقُ إلى تيارِ الكونِ الجارِفِ
فإن حياتنا ستفترقُ
وحننا سينسى
ولكنني لستُ غيباً إلى هذا الحدِّ
حتى أرجو شراءَ قلبكِ بهداياي .
شابةٌ غضةٌ هي حياتكُ
وطويلةٌ هي طريقكُ
وأنت تشربُ في جرعةٍ واحدةٍ
الحُبَّ الذي نحملهُ إليك
ثمَّ تلتفتُ وتُشيعُ عنا وتَهْرَبُ مِنَّا
إن لكِ ألعابكِ ورُفقاءَ لهوكِ

وَأَيُّ ضَيْرٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ الْوَقْتُ
لِتَفَكَّرَ فِيْنَا؟

سَيَكُونُ لَنَا وَقْتُ كَافٍ

عِنْدَ الشَّيْخُوخَةِ

لِكِي نَعُدَّ الْأَيَّامَ الَّتِي مَرَّتْ

وَلِكِي نَحْفَظَ فِي قَلْبِنَا

مَا فَقَدْتَهُ أَيْدِينَا إِلَى الْأَبَدِ .

إِنَّ النَّهْرَ يَمْضِي مُسْرِعًا وَمُغْنِيًا

مُكْتَسِحًا كُلَّ الْحَوَاجِزِ

وَلَكِنَّ الْجِبَالَ تَظَلُّ بَاقِيَةً وَمُتَذَكَّرَةً

وَهِيَ تَتَابَعُهُ بِحُبِّهَا

* * *

أغنيتي

أغنيتي هذه
ستلّفُ موسيقاها حولك
وتطوّقك يا بني كأذرعِ الحبِّ .

أغنيتي هذه
ستلمسُ جبهتك
كقبلة البركة .

وحين تكونُ وحدك
ستجلسُ هي إلى جوارك
وتهمسُ في أذنك همساتها .
وحين تكون بين حشودِ الناس
فإنها ستسوركِ بَعْدَ الاكتراث
وستكون أغنيتي

جَنَاحَيْنِ لِأَحْلَامِكَ
وَتَحْمِيلُ قَلْبِكَ إِلَى حُدُودِ الْمَجْهُولِ
سَتَكُونُ لَكَ كَالنَّجْمَةِ الْمُخْلِصَةِ
فِي أَعَالِي السَّمَاءِ .
تَهْدِيكَ الطَّرِيقَ حِينَ يَشْتَدُّ ظِلَامُ اللَّيْلِ ،
وَأُغْنِيَتِي هَذِهِ
سَتَجْلِسُ فِي بُوْبُؤِي عَيْنَيْكَ
وَتَحْمِيلُ بَصْرَكَ عَلَى النَّظَرِ فِي قَلْبِ الْأَشْيَاءِ
وَحِينَ يُسْكِتُ الْمَوْتَ صَوْتِي
فَإِنْ أُغْنِيَتِي سَوْفَ تَتَحَدَّثُ إِلَى قَلْبِكَ .

العقد الأخير

صَرَخْتُ فِي الصَّبَاحِ
تَعَالُوا، اشْتَرُونِي
وَأَنَا أَمْشِي فَوْقَ الطَّرِيقِ الْمُبَلَّطَةِ
فَجَاءَ الْمَلِكُ فَوْقَ عَرَبَتِهِ
شَاهِرًا سَيْفَهُ
وَأَمْسَكَ بِيَدِي قَائِلًا:
سَأَشْتَرِيكَ بِسُلْطَانِي
وَلَكِنَّ سُلْطَانَهُ لَمْ يُسَاوِ شَيْئًا
وَرَجَعَ فَوْقَ عَرَبَتِهِ .
وَفِي وَهَجِ الظَّهِيرَةِ
كَانَتْ أَبْوَابُ الْبُيُوتِ مُغْلَقَةً
وَكُنْتُ أَجُوبُ الطَّرِيقَ الْمُتَوَيَّةَ

وَخَرَجَ رَجُلٌ يَحْمِلُ كَيْسًا مِنَ الذَّهَبِ
 وَتَأْمَلْنِي ثُمَّ قَالَ :
 سَأَشْتَرِيكَ بِنُقُودِي
 وَوَزَنَ نُقُودَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً
 وَلَكِنِّي تَابَعْتُ طَرِيقِي
 وَكَانَ الْمَسَاءُ

وَسِيَّاحُ الْحَدِيقَةِ كَانَ مُغَطَّى بِالزُّهُورِ
 وَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ جَمِيلَةٌ وَقَالَتْ :
 سَأَشْتَرِيكَ بِابْتِسَامَتِي
 وَلَكِنْ ابْتِسَامَتَهَا تَلَاشَتْ
 وَانْفَرَطَتْ فِي دُمُوعٍ
 وَعَادَتْ وَحْدَهَا فِي الظُّلَامِ .

كَانَتْ الشَّمْسُ تُلْمَعُ فَوْقَ الرَّمَالِ
 وَأَمْوَاجُ الْبَحْرِ تَنْكَسِرُ نَائِرَةً مُزْبِدَةً ،
 وَطِفْلٌ كَانَ حَائِسًا يَلْهُو بِالْقَوَاقِعِ

فَرَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوِي

وَبَدَأَ كَأَنَّهُ يَعْرِفُنِي

وقال :

سَأَشْتَرِيكَ بِلَا شَيْءٍ .

وَمَنْ تِلْكَ اللَّحْظَةَ جَعَلَ مِنِّي الْعَقْدُ

الَّذِي أُبْرِمَ عَنْ طَرِيقِ اللَّعِبِ

إِنْسَانًا حُرًّا

الملاك الطفل

إِنَّهُمْ يَصْرُخُونَ وَيَتَّصِرَعُونَ
وَيَشْكُونَ وَيُقْنَطُونَ
وَمَعَارِكُهُمْ لَا تَعْرِفُ النَّهَائَةَ .
فَلْتَكُنْ حَيَاتُكَ بَيْنَهُمْ
يَا بَنِي
مِثْلَ لَهَيْبِ النُّورِ
صَافِيَةً وَقَادَةً
تُذْهِلُهُمْ بِسِحْرِهَا .
لِأَنَّهُمْ قُسَاةٌ
فِي حَسَدِهِمْ وَأَطْمَاعِهِمْ
وَكَلِمَاتِهِمْ مِثْلَ السُّكَاكِينِ الْخَفِيَّةِ

ظَامِئَةٌ إِلَى الدَّمِّ
فَاذْهَبْ إِلَيْهِمْ ، وَأَقِمْ يَا بُنَيَّ
بَيْنَ قُلُوبِهِمُ الْعَابِسَةَ .
وَضَعَ نَظْرَاتِكَ اللَّطِيفَةَ فَوْقَهُمْ
مِثْلَ أَمْنِ الْمَسَاءِ الرَّحِيمِ
يُخِيمُ عَلَى صِرَاعِ النَّهَارِ .
دَعَهُمْ يَتَأَمَّلُونَ وَجْهَكَ
يَا بُنَيَّ وَيُحَدِّقُونَ إِلَيْهِ
وَلِيَتَعَرَّفُوا هَكَذَا عَلَى مَعْنَى كُلِّ الْأَشْيَاءِ
وَاعْمَلْ عَلَى أَنْ يَحْبُوكَ وَأَنْ يَتَحَابُّوا .
تَعَالَ بَعْدَ ذَلِكَ وَخُذْ مَكَانَكَ
فِي قَلْبِ اللَّانِيهَائِيِّ يَا بُنَيَّ
وَافْتَحْ قَلْبَكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ مِثْلَ الزُّهْرَةِ
الَّتِي تُنَوِّرُ

وَعِنْدَ الْغُرُوبِ

إِنْخِشَعُ فِي صَمْتٍ

وَتَمَّ عِبَادَةُ النَّهَارِ

* * *



Association of the Algebraic Geometry (GOAL)
Association of the Algebraic Geometry

Association of the Algebraic Geometry (GOAL)

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْقَارِيءُ
 الَّذِي سَقَرْنَا شِعْرِي بَعْدَ مِثَاتِ الْأَعْوَامِ
 لَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْكَ
 زَهْرَةً وَاحِدَةً مِنْ ثَرْوَةِ هَذَا الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ
 وَلَا خَيْطًا ذَهَبِيًّا
 مُنْسَابًا مِنَ السُّحْبِ الْبَعِيلَةِ
 افْتَحِ الْأَبْوَابَ
 وَانظُرْ حَوْلَكَ
 وَمِنْ بُسْتَانِكَ الزَّاهِرِ
 اقْطُفِ الذُّكْرِيَّاتِ الْعَطِيرَةَ
 لِلزُّهُورِ الَّتِي ذَبَلْتَ مِنْذُ مِثَةِ عَامٍ
 وَفِي فَرْحَةٍ قَلْبِكَ
 يُمَكِّنُكَ أَنْ تُعْضِيَ إِلَى الْبَهْجَةِ الْحَيَّةِ
 الَّتِي هَنَّتْهَا أَنَا فِي صَبَاحِ رَبِيعِي
 مُرْسِلًا صَوْتِكَ الْفَرِحَ الْبَهِيحَ
 عَبْرَ مِثَاتِ الْأَعْوَامِ

الديوان العربية للكاتب

المقر الرسمي : شارع غومة الحمودي - ص.ب : 3185 طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
 - الهاتف : 30384 - 47287 - تلکس : 20003 الكتاب
 الفرع الرئيسي : 4 ، نهج 7101 - المنار 2 ص.ب : 1104 القبائنة الأصلية 1000 تونس - الجمهورية التونسية
 - الهاتف : 236600 - 236025 - تلکس : 14966 كتاب